كريستوفر هامبتون

الحرباء البيضاء

ترجمة وتقديم:
د. عوض حامد الكيلانى
مدرس الأدب الانجليزى
بكلية الآداب
جامعة طنطا

المـــــقدمـــــة

كريستوفر هامبتون كاتب إنجليزى ، لم يُكتب عنه إلا القليل بالإنجليزية ، ولم يُترجم له عمل واحد إلى العربية ، بالرغم من أنه قضى طفولتـــه فـــى أحضان العالم العربى ، ومازالت ذكرياته مع هذا العالم تعاوده من آن إلـــى آخر ، وهى الذكريات التى يطلعنا عليها فى مسرحيته "**الحرباء البيضاء**".

إن هذه المسرحية هى العمل الوحيد الذى يتعلق بسيرة هامبتون الذاتيـــة ؛ ومن هنا تأتى أهمية ترجمتها إلى العربية ؛ لما تَحْمِلُه فى طياتها من أفكـــار ذات طابع خاص للقارئ العربى على وجه العموم ، والقارئ المصرى على وجه الخصوص . ففيها يبدى المؤلف تعاطفاً مع العـــرب ، وفيهـــا يـــسلط الأضواء على العلاقة بين المستعمِر والمستعمَر قبل قيام الثورات فى عالمنا العربى ، ويلقى الضوء على مصر فى ظل الاحتلال البريطانى ، ولا ســـيما الفترة من عام ألف وتسعمائة واثنين وخمسين إلى عام ألف وتسعمائة وســـتة وخمسين ، تلك الفترة التى شهدت تغيراً جذرياً فى تاريخ البلد .

وترجع أهمية هذه المسرحية إلى أنها تساعدنا على رؤية مصر فى ظـــل الاحتلال من منظور أجنبى ، منظور لايقوم على مجرد اعتقاد ، وإنما يقوم على أساس احتكاك مباشر بالحياة والثقافة المصرية ، وهذا يـــضفى علـــى الأحداث مصداقية ذات مذاق خاص .

ولما كان المؤلف غير معروف لمعظم القراء العرب ، كما أنه لـــم يحـــظ باهتمام كبير من قبل المدارس النقدية ، فمن الأفضل أن نبدأ بإعطاء فكـــرة موجزة عن الكاتب وأهم أعماله ، ثم ننتقل لمناقـــشة المـــسرحية موضـــوع الترجمة .

وُلد كريستوفر هامبتون فى السادس والعشرين من ينـــاير عـــام ألـــف وتسعمائة وستة وأربعين ، بجزر أزور التى تقع شمال المحـــيط الأطلنطـــى

على بعد ألف ميل من ساحل البرتغال ، حيث كان يعمل والده مهندساً في شركة الاتصالات البريطانيه فيما وراء البحار ، وقبل عيد ميلاده الثاني انتقلت الأسرة إلى عدن ، ثم إلى مدينة الإسكندرية بمصر ، وهكذا تلقى بدايات تعليمه فى عدن والإسكندرية ، وفى الإسكندرية ظهر ولعه الشديد باللغة و الدراما ، وفيها ــ أيضاً ــ رأى أول مسرحية فى حياته ، وهى مسرحية " **عدو الشعب** " ، للكاتب النرويجى المشهور هينريك إبسن .

لقد قال هامبتون عن هذه المسرحية : "إننى لم أفهمها فى الواقع ، ولكن كان لها تأثير كبير على"[1] . وفى الإسكندرية كتب أول مسرحية له ، وهو فى الثامنة من عمره ، كنوع من الواجب المدرسى ، عندما قام هو وأربعة من رفاقه فى المدرسة بتعديل قصة قصيرة للكاتب الأمريكى 'إدجر آلن بو'، وقد "اهتموا بجانبى الإثارة والرعب ، دون النظر إلى الجانب الأدبى فيها "[2] .

وفى عام ألف وتسعمائة وستة وخمسين ، وبعد العدوان الثلاثى على مصر هرب هو وأمه من الإسكندرية تحت جُنْح الظلام ، ولايزال هامبتون يتذكر هذا اليوم من حياته :" ذهبنا إلى بورسعيد ، حيث ركبنا سفينة فى طريقها من استراليا إلى لندن "[3] ، وكان هذا شيئاًمثيراً لطفل يبلغ من العمر عشرة أعوام ، وبعد عودته إلى إنجلترا ، أقام هامبتون ـــ بعد استقرار الأسرة فى هونج كونج ، وزنزبار:(المواقع الجديدة التي عمل بها والده) ــ فى مدارس داخلية حيث أقام فى بادئ الأمر بمدرسة إعدادية فى 'رايجيت' ثم بمدرسة 'لانسنج' ، وهى مدرسة عامة . واستمر أثناء تلك الفترة فى متابعة اهتمامه باللغة والدراما ، وكانت هذه الفترة من حياته صعبة ؛ نظراً لتعلقه الشديد بمصر . " أحببت مصر ، وعندما عدت إلى انجلترا ، وجدت أننى لاأحبها البتة ، وكان من الصعب جداً علىَّ أن أقيم بها "[4] .

ومع ذلك ، أثبت هامبتون فى 'لانسنج' أن طاقته الأكاديمية هائلة ، ويتنكر 'هارى جيست' ، الذى كان يدرّس له اللغة الفرنسية ، إنه " كان واحد من ألمع التلاميذ ، الذين درست لهم طيلة حياتى "[٥] .

لقد كان هامبتون يتميز عن غيره من زملائه بما له من تجارب ، وثقافات سابقة . وفى هذا الصدد يتنكر روچر دانس ، زميله فى الدراسة والذى عمل ــ بعد ذلك ــ ناظراً بمدرسة چورج الخامس 'ببرمنجهام' : " كان معظمنا من 'سارى' أو 'ساسيكس' ، ولكن كريستوفر هامبتون كان نبتاً من عالم آخر، يعود إلى زنزبار فى العطلات الرسمية "[٦] .

وفي الواقع كانت 'لانسنج' محطة هامة فى حياته . ففيها تعرف على 'ديفيد هير' الكاتب البريطانى المشهور ، وسارت بينهما صداقة حميمة ، قوامها الدعم المتبادل ، وفيها ــ أيضاً ــ أصقل مواهبه المسرحية ، وقرأ مسرحيات 'آرثر ميللر' و'جون أزبورن' ، كما شاهد ــ أيضاً ــ إنتاج 'بيتر بروك' لمسرحية " **الملك لير** " ، التي قال عنها فيما بعد ، " إن ذلك ما أثار رغبتى فى العمل بالمسرح "[٧] .

وفى 'لانسنج' ــ أيضاً ــ مرهامبتون بأول تجاربه الجنسية ، وقد كان معظمها ممارسات لوطية قال عنها : " لقد كانت رومانسية أكثر من أى شىء آخر ، وكان الغريب أنه فى الأجازات كنت أرحل محاولاً إيجاد صديقه "[٨] . وفى 'لانسنج' بدأت ــ أيضاً ــ دوافعه الخلاقة فى النضج ، فمثّلَ فى عدد من العروض المدرسية ، واشترك فى عرض مسرحية " **إيفيجينا** " ، التى كتبها 'جيتا' باللغة الألمانية . ولعب هامبتون فيها دور البطولة الخاص بالأميرة 'إيفيجينا' ، وتسجل مجلة المدرسة أنه قد مثل دوره باقتدار . كما كتب شعراً في المجلة المدرسية ، ولكن ثمرة سعيه الخلاق فى تلك الفترة كانت رواية بعنوان " **هارى ايستون** " ، وقد كتبها فى شكل مذكرات منتحر ، ووصل

عدد صفحاتها إلى ثلاثمائة صفحة ، ولكن القدر حال دون نشر هذه الرواية ، حيث دُمرت فى حريق شب بأحد المكاتب الذى كانت به الرواية .

وفى عام ألف وتسعمائة وخمسة وستين التحق كريستوفر هامبتون بجامعة إكسفورد ، وهناك فضل دراسة اللغات على دراسة الأدب الإنجليزى ؛ وكان ذلك يرجع لرغبته ، كما يؤكد الناقد الأمريكى 'وليم . ج . فرى' (William J. Free) ، " فى رؤية الثقافة الإنجليزية من منظور أوربى شامل "[٩] . وأثناء عامه الأول بإكسفورد توفى والده إثر سكتة دماغية ، وفى هذا الصدد يقول هامبتون : " كان موتاً مفاجئاً . لقد اعتزل العمل حديثاً . ولم أره معظم حياتى ، وكنت أتوق إلى قضاء المزيد من الوقت معه . "[١٠]

وعندماعاد مع بداية السنة الدراسية الثانية ، شغل هامبتون نفسه بالالتحاق بأسرة التمثيل بالجامعة . وفى غضون ذلك قابل ابنة أستاذ بالجامعة ، وبنى معها علاقة استمرت معظم سنوات دراسته بالجامعة ، وكانت هذه هى أول علاقة جادة فى حياته مع الجنس الآخر ، وجسد كثيراً منها فى مسرحيته " **متى رأيت أمى آخر مرة ؟** " التى كتبها فى سن الثامنة عشرة من عمره ، ولعب فيها دور البطولة عندما عرضتها أسرة المسرح بجامعة أكسفورد لأول مرة .

وبعد النجاح الهائل الذى حققته مسرحية " **متى رأيت أمى آخر مرة ؟** " عندما عرضت على خشبة مسرح الويست إند (الحى الغربى) ، عاد هامبتون إلى معالجة موضوع اللواط فى مسرحية "**الخسوف التام**" ، التى تدور أحداثها حول العلاقة المدمرة بين 'رامبو' و 'ڤيرلين' الشاعرين الفرنسيين ، اللذين تقابلا فى باريس عام ١٨٧١ . ومع أن مسرحية " **الخسوف التام** " لم تُحقق النجاح المادى الذى حققته مسرحية " **متى رأيت أمى آخر مرة ؟** " فقد أثبتت أنها أكثر قدرة على الاستمرارية والبقاء .

وتعد مسرحية " **الخسوف التام** " محطة هامة فى مستقبل هامبتون المسرحى ، فهى تجسد استخدامه لجسم الممثل ، و إيماءاته ، وحركاته كأداة تعبير ، كما أنها تنمى فكرة محورية فى أعماله وهى تغاير اتجاهين تجاه الحياة ، يتم تجسيدهما من خلال شخصيتين متغايرتين ، ويأخذ هذا التغاير شكل الاختلاف بين الإنسان الراديكالى والإنسان الليبرالى ، ففى حين يمثل 'إيان' الشخصية الراديكالية ، ويرمز 'چيمى' إلى الإنسان الليبرالى فى مسرحية " **متى رأيت أمى آخر مرة ؟** " نجد أن 'رامبو' يمثل الخيار الراديكالى ، و'ڤيرلين' الليبرالى فى مسرحية " **الخسوف التام** " . وفى هذا الصدد ، يقول هامبتون:

> كان ومازال يجذبنى ـ دائماً ـ التعارض بين الراديكاليين والليبراليين ، إنه تعارض موجود فى كل مسرحياتى ، ولكن لا يوجد ـ أبداً ـ حسم نهائى للقضية ، ففى "**المتوحشون**" التى تدور أحداثها حول الإبادة المنظمة للهنود فى البرازيل أتخذ جانب الراديكاليين ، وفى "**حكايات من هوليود**" أميل تجاه الكاتب الليبرالى 'هورڤاث' بدلا من 'برخت' الثَوْرِى ، وأعتقد أننى أنمى نوعا من الصراع الداخلى ، فأنا دائماً أقاوم أن أصبح سجين فكرة واحدة ؛ لأن مايميز مسرحياتى ، هو أنهم يختلفون عن قصد ، و لكن فى النهاية عندما ترجع إلى أعمالك تجد أن هناك نمطا يتكرر[١١] .

وهذا لايعنى أن هامبتون منعزل مثل بطله الأكاديمى فى مسرحية "**الخَير**" ، الذى يقول : " إننى رجل بلا معتقدات . على الأقل أظن أننى هكذا "[١٢] . إن ما يثير غضب هامبتون هو مايسميه الغباء المعيارى الغربى ، الذى أدى إلى حرب العراق ، والسياسة الخفية وراء محور الشر ، ولكن نزعة هامبتون

الراديكالية يلطّف منها ليبرالية تسمح له برؤية أن الأفعال المشكوك فيها لهـا نتائج طيبة[١٣] .

وفى هذه الفترة من حياته ، قابل هامبتون زوجته 'لورا داى هالـسون' ، والتى كانت تعمل إخصائية اجتماعية ، وكان يسكن عندها . وكانت حياتهـا كحياته ، تتسم بالترحال ، فكان والدها أحد أبناء الطبقة الأرستقراطية بالمجر وكانت أمها عازفة بيانو ، وكانت الأسرة تتجول بين بوخارست ، وباريس ، ونيويورك . وتطورت العلاقة بين لورا وهامبتون ، وبعد ثـلاث سـنوات تزوجا ، و أنجبا طفلتين : 'أليس ، ومارى' .

وفى عام ١٩٧٠ انتهى هامبتون من كتابة مـسرحية " **الخيـر** " ، تلـك المسرحية التى تُعَدُ أول عمل ضخم له ، على المستويين : النقدى والمادى ، وهذا بالرغم من أن مسرح الرويال كورت (البلاط الملكـي) تـردد فـى عرضها لمدة عامين ؛ وذلك لعدم انسجامها مع روح العصر . فالمـسرحية هى دراسة للحياة الخاوية التى يحياها مجموعة من المفكـرين الجـامعيين ، وأهم شخصية فيها هى شخصية عكس شخصية البطـل ، وتثيـر طبيعتهـا الأنيسة غضب الناس من حولها ، كما يثير مكر شخصية البطل فى مسرحية " **مُبغِض البَشَر** " 'لموليير' اشمئزاز الناس من حوله . فالبطل ، 'فيليـب' ، هو نقيض 'آلسيست' فى مسرحية 'موليير' الذى لا يثق فى أحد ، ويكره كل الناس ، وفى حين يعيش 'فيليب' على هامش الحياة ، يغوص آلسيست فـى أعماقها . ومع ذلك فإن النتيجة واحدة ، كما يقول أُولج كيرنسكى (Oleg Kerensky) ، " فكلاهما يعادى معظم الناس من حوله : ومثل 'آلسيست' ، فإن موقف فيليب يكابده فقدان خطيبته ، ويؤثر على علاقاته بالآخرين" [١٤] . ومسرحية " **الخير** " هى بوجه عام كوميديا برجوازية ، فهى تعالج الورطـة التى يجد الليبرالى فى الطبقة الإنجليزية المتوسطة نفسه فيها ، وهو يحـاول الاحتفاظ بحريته وعقلانيته ، فى عالم تتزايد فيه اللاعقلانية .

وبعد النجاح الذى حققته مسرحية " **الخير** " بثلاث سنوات ، حقق هامبتون نجاحاً آخر بعد عرض مسرحية " **المتوحشون** " على خشبة مسرح الرويال كورت (البلاط الملكـــي) فى الثانى عشر من إبريل عام ألــف وتــسعمائة وثلاثة وسبعين ، والتى استقى فكرتها من مقالة قرأها فى "**مجلة الــصنداى تايمز**" عن الإبادة الجماعية فى البرازيل . وفى الواقع فإن هــذه المــسرحية تمثل خطوة عملاقة على درب هامبتون المسرحى . فمن الناحية الموضوعية والتقنية ، تستكشف المسرحية مناطق جديدة ، ففى حين تجنب هامبتون فــى مسرحياته السابقة معالجة القضايا السياسية ، فإن هذه المسرحية تعد ناضجة من الناحية السياسية . وفيها أيضاً يتحول من استخدام الأسلوب الواقعى إلى استخدام أسلوب يشبه أسلوب المسرح الملحمى عند برخت . ولــذا ، وجــد النقاد فى البداية صعوبة فى تصنيفها ، فقــد هاجمهــا بعــضهم لإفراطهــا السياسى ، وهاجمها البعض الأخر على أنها غير سياسية بدرجة كافية ، ومع ذلك فإن المسرحية يمكن النظر إليها على أنها تعبير عن التناقضات الموجودة فى الحياة البريطانية ، وكما يرى 'مــارتن إيــسيلين' (Martin Esslin) ، يمثل 'وست' ، بطل المسرحية ، البريطانيين " المهددين بالانقراض بــسبب الحضارة الصناعية المتقدمة ؛ والتى لا يستطيعون مسايرتها"[١٥] . إن 'وست' وأمثاله يجدون أنفسهم فى حالة تهميش متزايد نظراً للأحداث من حــولهم . وعلى المستوى الفنى ، فإن " **المتوحشون** " تكسر حاجز الشكل الــدرامى الواقعى المألوف: فالمسرحية تخلط بين المشاهد الواقعية والتعبيرية ، كما أنها تخلف ظن المشاهدين من خلال اعتمادها على الارتجاع الفنــى بــدلاً مــن التسلسل التزامنى للأحداث .

وتلى مسرحية "**المتوحشون**" مسرحية "**المتع**" التى كتبها هامبتون عام ألف وتسعمائه وستة وسبعين ، وهى مسرحية صغيرة تضم ثــلاث شخــصيات: رجلين وامراة ، وتشبه مسرحية "**الــدائنون**" للكاتــب الــسويدى أُوجــست

استرندبرج 'August Strindberg' ، فأحداثها تدور حول العلاقة بين امرأة ورجلين أحدهما ضعيف ومتردد والآخر واثق وعدوانى تجاه الآخرين ، والمرأة تبحث عن وجود مستقل . وتهدف المسرحية إلى الكشف عن الفتور وانعدام الدِفْء فى الحياة الحديثة .

وفى الثالث عشر من أغسطس عام ألفين وثلاثة صدرت أول طبعة لآخر مسرحية كتبها كريستوفر هامبتون بعنوان "**العلاج الكلامى**" ، وتدور أحداثها فى زيورخ وڤيننا فى أوائل القرن العشرين ، وتقدم صورة مفصلة عن مولد التحليل النفسى والعلاقات الإنسانية المعقدة . وفيها نرى كيف طبق كارل ينج نظرية فرويد فى العلاج الكلامى على 'سبينا ' ، وهى فتاة روسية تعانى من هِستريا ، ويقع فى غرامها أثناء العلاج ، وتتحول هى من مريضة إلى معالجة ، وعندما ينبهر فرويد بالنتائج التى يحققها ينج يختاره خليفة له ، ولكنهما ينفصلان عندما يطور ينج نظرياته .

وبالرغم من أن كريستوفر هامبتون قد بدأ كتابة أعماله المسرحية وسيناريوهات أفلامه منذ فترة تزيد على أربعة عقود ، فإنه لم يكتب عنه إلا قليل . ويرجع ذلك إلى أنه حاول متعمدا ألا يقيد نفسه بمجموعة محددة من الأفكار ، ولكنه سعى إلى استخدام ملكاته الفكرية فى كل عمل من أعماله . وفى هذا الصدد يقول هامبتون : " يسأل الناس عادة عما يربط أعمالى بعضها ببعض ، ولكننى لا أرى ارتباطاً بينها سوى أننى كاتبها . فانا أحاول معالجة كل موضوع بالطريقة التى تلائمه ، وليس لى أسلوب معين " [١٦] . وقد جعله هذا التنوع لا يحظى بشعبية فى مدرسة النقاد الذين يعتقدون أن الكتابة هى شكل من أشكال السير الذاتية المتخفية . فهامبتون لا يعاود فكرة من أفكاره مرة ثانية ؛ مما يجعل من الصعب تتبع تطوره الفكرى أو تحديد الأفكار التى تسود أعماله . فهو يركز على الشكل أكثر من تركيزه على

المضمون ، وهذا لا يعنى أنه لا يصور نفسه فى أعماله ، ولكنه نادرا ما يجعل مشاعره الشخصية محورا للعمل الذى يكتبه .

ويشبه هامبتون من أبناء جيله توم استوبرد (Tom Stoppard) . فكلاهما يهتم باللغة والشكل ، ويميل إلى استخدام المصادر الأدبية كنقطة انطلاق ، ولكن هامبتون لا يتبع استوبرد فى مجال السريالية الهزلى ، كما أن هامبتون لا يعتمد على تصوير طبقة اجتماعية يمكن التعرف عليها ، أو بيئة إقليمية معينة فى أعماله ، كما يفعل فرين (Frayn) أو أيك بورن (Ayckbourn) (أو بنتر(Pinter) . وعلى عكس هير (Hare) وبرنتون (Brenton) ، لايعالج هامبتون فى أعماله القضايا السياسية معالجة مباشرة باستثناء مسرحية "**المتوحشون**" .

إن فهم هامبتون فهما تاما يحتم رؤيته فى سياق الكتاب الأوربيين الذين كان لهم تأثير جوهرى عليه . ففى مقابلة مع بارى نورمان (Barry Norman) فى عام ١٩٦٦ ، كان رد فعل هامبتون على فكرة أنه قد يلقب فارسا فى يوم من الأيام هو : أنه أكثر اهتماما بفكرة اختياره عضوا فى الأكاديمية الفرنسية . فهو معجب بموضوعية الكتاب الفرنسيين فى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ؛ ولذا وصفه الناقد المسرحى مايكل بلينجتون (Michael Billington) بأنه " كلاسيكى فى عصر الرومانسيين ، وساخر ذو مشاعر "[١٧] ، وذلك وصف ينطبق على فلوبير (Flaubert)، فيرى كل من هامبتون وفلوبير أن الحياة مليئة بالمواقف المأساوية الساخرة ولكنهما يرفضان أن يتسم رد فعلهما بالحياد المزدرد . فكما يلاحظ 'هورڤاث' بطل مسرحية " **حكايات من هوليود:** "على أية حال تقوم الحضارة ، أليس كذلك ، على درايتنا بما يعانيه الآخرون"[١٨] .

وجدير بالذكر أن هامبتون لم يبد اعتراضا على وصف 'نورمان' له ، ولكنه قد أيده عندما قال فيما بعد : "إننى ظهرت فى أواخر الستينيات عندما

شعر كثير من الكتاب أن لديهم القدرة على تغيير المجتمع ، وهذه فكرة تبدو اليوم رومانسية . إن الكاتب الكلاسيكى يحاول وضع الأمور فى نصابها ، وهذا على ما أظن هو قدرى الذى اخترته"[١٩] .

وخلاصة القول أن هامبتون لا ينتمى إلى أى اتجاه من اتجاهات المسرح البريطانى فى فترة ما بعد الحرب ، فهو لا يتبع حركة مسرحية بعينها ، وإنما يؤقلم نفسه وفقاً لمتطلبات كل مسرحية يكتبها ، فهو كالحرباء ضليع فى التلون وفقا للون خلفية الموقف الذى يجد نفسه فيه ؛ ولذا يجب ألا نتجاهله . ومن هنا تأتى أهمية مسرحية " **الحرباء البيضاء**" . إن عنوان المسرحية له مغزاه ، فالحرباء البيضاء ترمز إلى هامبتون الذى حاول أن يخلق نوعا من الانسجام بين التجارب الثقافية المتنوعة التى مر بها ، وأن يتكيف وفقا لظروف المواقف الحياتية التى وجد نفسه فيها .

إن مسرحية " **الحرباء البيضاء** " هى أول مسرحية تتعلق بالسيرة الذاتية لكريستوفر هامبتون ، وتمت كتابتها بناء على طلب ريتشارد ايـر (Richard Eyre) المدير الفنى للمسرح القومى الذى طلب منه أن يكتب مسرحية عن الوضع السياسى عام ألف وتسعمائة وستة وخمسين ، بيد أن هامبتون لم يجد جديدا يضيفه إلى قصة الفشل البريطانى الذريع فى تلك الفترة التى تم توثيقه توثيقا جيدا ، فراح يقلب فى ذكرياته الشخصية عن أحداث تلك الفترة ؛ كى يكتب شيئاً عنها أكثر خصوصية . وكانت تجربة الاستقاء من ذكرياته تجربة جديدة عليه وغير مؤكدة ، إلا أنه اهتدى أخيراً إلى كتابة مسرحية " **الحرباء البيضاء** " ليكتشف فيما بعد أنها واحدة من أروع الأعمال التى كتبها .

وتركز مسرحية " **الحرباء البيضاء** " على حياة هامبتون فى الفترة ما بين عامى ألف وتسعمائة واثنين وخمسين وألف وتسعمائة وستة وخمسين والتى قضى معظمها فى مدينة الإسكندرية بمصر ، وبمعنى آخر فإن الفترة

التى تغطيها أحداث المسرحية هى فترة تتسم بالجلبة والاضطراب ، وهى الفترة مابين قيام الثورة المصرية والعدوان الثلاثى على مصر.

تبدأ أحداث المسرحية فى عام ألف و تسعمائة وستة وخمسين على متن سفينة فى المحيط متجهة إلى انجلترا ، ويقوم بطل المسرحية 'كريس' الذى يبلغ من العمر عشرة أعوام بتعليم فريق السباحة المصرى عبر القناة نشيدهم الوطنى الجديد الذى يعرف بترنيمة التحرير.

وبعد المشهد الافتتاحى تأخذ المسرحية شكل الارتجاع الفنى ، و تعود إلى عام ألف و تسعمائة واثنين وخمسين ، و تبدأ معالجة الأحداث التى أدت إلى مغادرة الصبى مصر وبداية حياته الجديدة فى انجلترا .

يعيش 'كريس' مع أسرته فى مدينة الإسكندرية حيث يشغل والده منصب كبير المهندسين فى شركة الاتصالات ، ويروى القصة 'كريس'الذى وصل إلى سن البلوغ ، ويدعى الآن 'كريستوفر' ، ويلعب الممثل الذى يؤدى دوره دوراً مزدوجاً : فعندما يضع النظارة على عينيه يقوم بأداء دور 'كريس'وعندما يخلعها يلعب دور والده .

والعلاقة المحورية فى مسرحية " **الحرباء البيضاء** " هى العلاقة الموجودة بين 'كريس' وإبراهيم خادم الأسرة ، الذى يتسم بإخلاصه لمستخدميه البريطانيين ، ولكن لكونه مصرياً فإن مكانته أو سلطته فى المنزل لا تتعدى مكانة أو سلطة طفل . ويعامل 'كريس' إبراهيم معاملة أخ أكبر يستطيع أن يفسر له ما يجرى من حوله فى عالم الراشدين . وتتسم شخصية الأبوين بالغموض المتعمد ، وينتج عن هذا وضع الصبى فى بؤرة الأحداث بالرغم من أنه لا يفهمها فهماً كاملاً . ولكى يؤكد المؤلف أن المسرحية لا تتعلق كليةً بالسيرة الذاتية له ، فإن الأبوين لا يشار إليهما باسميهما الحقيقيان فى النص ، ولكن يشار إليهما بوصفهما والد 'كريس' ووالدة 'كريس' ،

ويمكن مطابقة الصبى الصغير 'كـريس' والراشـد الكبيـر 'كريـستوفر' بكريستوفر هامبتون الكاتب مطابقة غير محكمة .

وتستقى المسرحية أحد اقتباساتها من مقالة " **اللغز** " 'لألبرت كامو' التـى كتبها فى عام ألف و تسعمائة وخمسين ، ويذكرناهذا الاقتباس أن الكاتب حتى لوصادف أن صور نفسه فى أعماله ، فإنه من النادر جداً أن يصورها بالفعل كما هى فى الواقع . لقد استخدم هامبتون حياته كمادة خام ، وصـاغها فـى شكل عمل فنى ، ولكن هذا ــ كما يوضح فى خاتمة الـنص المنـشور ــ لا يعنى أن أحداث المسرحية تتعلق تعلقا تاما بسيرته الذاتية.

والاقتباس الثانى فى المسرحية مأخوذ عن قصيدة " الإلـه يتخلـى عـن أنطونيو " للشاعر اليونانى س . ب . كفافى ، الذى قضى حياتـه بمدينـة الإسكندرية ، والقصيدة مبنية على الخرافة التى تحكى كيف أن الإله هِرَقْـل تخلى عن مارك أنطونيو وتركه يلقى مصيره مباشرة قبل حرب 'أكشيم' فى عام واحد وثلاثين قبل الميلاد ، وتنتهى بقول الشاعر :

أنصت — فهى آخر متعة لك — إلى الأصوات ،
إلى الموسيقى الرائعة الصادرة عن ذلك الموكب الغريب ،
وودعها ، ودع الاسكندرية التى تفقدها .

ويرمز إلى هذا التخلى صوت الموسيقى الجميلة فى السماء ، ولعل هذا يشبه المشهد الذى يصوره وليم شكسبير فى مسرحيته " أنطونيـو و كليوبـاترا " والذى يخسر فيه مارك أنطونيو المعركة ، وينتحر بعد ذلك بوقت قـصير . ويعدل كفافى هذه الأسطورة كى تصبح الإسكندرية نفسها هى التى تتخلى عن أنطونيو ، وفى ظل هذه الظروف ينصح الشاعر بالتحلى بالـصبر والجلـد

والبعد عن الجُبن والشعور بالذنب ، أو خداع الذات لأن كلاً منا ــ عاجلاً أم آجلاً ــ سوف يفقد اسكندريته.

ويشرح 'كريستوفر' هامبتون القصيدة فى " **الحرباء البيضاء** " عندما يقول للمستمعين إن من لهم جذور يعرفونها لا يتأثرون ، ولكن منزوعى الجذور يشعرون بالخسارة مثلهم فى ذلك مثل شعور من يتوهم الألم فى وُصْل مبتور ، وترمز الحرباء التى تعيش فى حديقة الأسرة بالإسكندرية إلى انعدام الجذور الذى يشعر به 'كريستوفر' . فالحرباء يمكن أن تغير لونها بالطبع ، ويقول كريستوفر إن هناك خرافة تقول إنها تغير لونها حتى ينسجم مع لون الخلفية التى توجد فيها ، و هذه الصورة البلاغية لها مغزاها فهى تلخص وضعه بوصفه إنساناً ، نمى وترعرع دون أن يكون له مَوْطِن ثابت ، إنسان اضطر إلى التكيف مع أى بيئة وجد نفسه فيها .

ويأخذ 'كريس' فترة من الزمن كى يتعلم فن التمويه ، فأثناء وجوده بمصر يتنمر عليه زملاؤه المصريون لأنه واحد من " البريطانيين القذرين" ، وفى انجلترا ، عندما تنتشر الإشاعة بأن هناك ثورة على وشك القيام فى مصر ، ينتقده الأطفال بالمدرسة الإعدادية الملحق بها بوصفه أجنبيا . ففى أى بلد وجد ، ينظر إليه دائما على أنه دخيل . وعندما تعود الأسرة إلى مصر معتقدة أن خطر الحرب قد زال ، يستقر 'كريس' فى مدرسة يحس فيها بالسعادة ، وعندما يتم ترحيله إلى انجلترا مرة ثانية فى عام ألف وتسعمائة وستة وخمسين ــ وهذه المرة نهائياً ــ يجد نفسه غير مرغوب فيه لكونه " محباً للأغراب " ، ويتعلم بالتدريج كيف يخفى حبه لمصر ، ويبدأ فى الإنسجام مع بيئته ، كما تنسجم الحرباء مع بيئتها.

وفيما بعد ، وعند وصوله إلى سن الرشد ، يعترف بأن اضطهاده من قبل كلا الجانبين ، لكونه مختلفاً ، كانت خبرة ساهمت فى تكوينه السياسى : "

.... فهذه الاعتداءات المتماثلة أسهمت إسهاما قيما فى نشأتى السياسية ، وأصبحت حذراً من كل نوع من الثقة الزائدة منذ ذلك الحين "[٢٠] .

وكما هو الحال مع 'كريس' ، نجد أن إبراهيم له أيضا مشكلاته مع ضروب متصارعة من اليقين ، فلديه زوجتان (وهما لا تظهران على خشبة المسرح) منقسمتان بشأن السياسة : فإحدهما تؤيد البريطانيين بحماس والأخرى تؤيد عبد الناصر . ويخبر إبراهيم 'كريس' أنهما دائمتا الشجار. وتُثرى تعليقات إبراهيم الجدل الدائر فى المسرحية بشأن الاستعمارية وآثارها. فوالد 'كريس' رجل ليبرالى لطيف ، ولكنه مازال يمثل السلطة الحاكمة ، وينظر إلى المصريين بنفس الدرجة من الطريقة الأبوية المعتادة ، عندما كان يحكم البريطانيون العالم . ويتجسد الوجه القبيح للإمبريالية فى شخصية 'إثريدج' ، ذلك الرجل المتوحش الذى يسئ معاملة ابنه من أمٍ عربية . إن انهيار الإمبريالية و تأثيره على الأحداث واضح ، ولكن المسرحية تظهر آثارها دون مناقشتها .

وتتفلتر الأحداث السياسية التى أدت إلى العدوان الثلاثى من خلال أعين كريس كطفل ، فهو منزعج فى يوم السبت الأسود ، وهو يوم شغب ضد الانجليز فى أعقاب مذبحة بعض من مساعدى الشرطة فى مدينة الاسماعيلية على يد الجنود البريطانيين ، لأن حفلة عيد ميلاده أُفسدت واضطر المدعوون إلى الرجوع إلى منازلهم مبكراً . وبينما يتناقش والداه فى إمكانية ترحيلهم ، يكون هو مهتماً أكثر بتقليد 'جيمس دين' فى فيلم " **شرق عدن**" . ويحس 'كريس' ، كما يفعل الأطفال غالباً ، أن هناك شيئا مخيفاً يحدث ، ولكنه لايستطيع أن يجد من يفسره له ، وعندما يسأل إبراهيم عن معنى الاستعمارية يطرح الأخير السؤال جانباً ، ويقول إنها تعنى: " التحدث إلى أناس غير مرغوب فيهم "[٢١] . ولايلقى والد كريس مزيداً من الضوء على المسألة حيث يقول : " ... إنها تتعلق بالمستعمرات ، فبعض البلدان مثل بريطانيا تحكم

بلداناً أخرى لأسباب تاريخية كثيرة ومتنوعة ، والاستعمارية ليست ... كلمة مهذبة على وجه الخصوص لوصف وضع كهذا " [٢٢] .

ويبدأ 'كريس' فى التعرف بنفسه على ما تعنيه " الاستعمارية " ، عندما يحذره ناظر مدرسته الداخلية من انتقاد قصف القوات الجوية البريطانية لمدينة الإسكندرية ، ويجبر 'كريس' على مشاهدة طربوشه المحبب لنفسه وهو يحترق ، ويقول له الناظر : " قد يبدو هذا قاسياً ولكن عندما تكبر أنا متاكد أنك سوف تعى أن هناك مُسَوغات وجيهة لما فعلت "[٢٣] . وكان هذا درساً قاسياً مؤلماً ، لأن إبراهيم كان قد أعطاه الطربوش كهدية وداع ، وكان الطربوش له ارتباطات قوية ورمزية بطفولته ، وكان آخر حلقة وصلٍ بينه و بين مصر .

وفى ذلك الوقت يكتشف 'كريس' أن السلوى الوحيدة هى الكتابة . فقد طُلب منه أن يكتب مسرحية خالية تماماً من الكلمات كواجب منزلى ، ويساعده إبراهيم فى التفكير فى حبكة عن ثلاثة لصوص يختلفون فيما بينهم ويواجهون جميعاً نهايات قاسية: فأحدهم تلدغه حية . ويصنع إبراهيم لكريس حية من العجين كى يستعين بها فى الأداء ، ولكنه يحزن عندما يعلم أنها قد انكسرت أثناء تمثيل المسرحية .

إن مسرحية 'كريس' القادمة هى الأُولى فى سلسلة كبيرة من الأعمال الأدبية المعدلة ، كما أن اهتمامه المستقبلى بالعواطف المفرطة يتم التلميح إليه فى اختياره لفكرة مستقاة من الفكرة الأصلية من قصة آلن بو " **القلب الواشى**" . ويُطلع إبراهيم على ما يبذله من جهد ، ولكن إبراهيم ـــ الذى يصبح أول ناقد أدبى له ـ لا تعجبه الحبكة ، وتعجبه فكرة قلب الضحية المقتول وهو ينبض تحت ألواح خشب الأرضية . ولعل هذا يرجع إلى أن إبراهيم يعانى من مرض بالقلب ، يزيده سوءاً تناوله للمشروبات الكحولية

الموجودة بالمنزل فهو يقول لكريس : " ولكن الشيء الوحيد الذى الذى يحثنى على أن أكون مسيحياً هو الويسكى " [٢٤] .

وكان أول اتصال فعلى لكريس بالجمهور فى المسرح هو انتاجه لمسرحية إبسن " **عدو الشعب** " ، ويُصدم عندما يرى بعض الصبية وهم يضايقون 'استوكمان' أثناء مشهد يأخذ شكل لقاء عام ، غير مدركين فى البداية أنهم قد تم وضعهم بين المشاهدين كى يضفوا واقعية على الاحداث ، ويجعله هذا على دراية بمدى فاعلية المسرح ، ويظل إبسن واحداً من أكثر الكتاب تأثيراً فيه .

وبعد اكتشافه للإثارة التى يولدها المسرح ، يبدأ 'كريس' فى تنمية حبه للغة . ويتذكر هامبتون خبرته بالإسكندرية كمدينة متعددة اللغات عندما يقول: "إنك غالباً تتحدث مع شخص يبدأ جملة بالإنجليزية وينهيها بالفرنسية"[٢٥] . ويكتسب كريس أكثر من لغة بالتدريج ، فيشرح لصديقة 'بول' أنه ذات مرة أساء ترجمة الكلمة الفرنسية بليسير " جرح " ، إلى الكلمة الإنجليزية بليسنج " نعمة " ، وترجم جملة على أنها تعنى " أن نعمة الجندى تنزف ببطء " . وينمى هامبتون تلك الفكرة فيما بعد عندما يتحدث 'كريس' عن موقف والده تجاه الكتابة : " إن فكرةً أن أصبح كاتباً قد أوحت له بنوع من المغامرة ، فتصور هذا النداء الباطنى على أنه نعمة فى حين أن دروسى الفرنسية نبهتنى إلى فكرة أنه قد يكون نقمة "[٢٦] .

وسوف تزج دروس 'كريس' الفرنسية به فى نهاية المطاف إلى ظلمة 'ڤيرلين' و'رامبو' ، ولكنه يلاقى أول معاناة له بالفعل مع 'بول' . فعندما يُترك الصبيان للعب معاً ، ويبدأ 'كريس' فى صعود درجات السلم إلى الخارج ، مشجعاً 'بول' الذى لا يرغب فى صعود السلم الى اللحاق به . وفى منتصف السلالم لا يستطيع 'بول' التحرك بسبب الخوف ، ولايستطيع 'كريس' الذى سبقه الرجوع من خلفه لمساعدته على النزول ، فيضطرون

إلى الصياح من أجل النجدة فى نهاية المطاف ، ويأتى والد 'بول' ، و ينقذهما ، ويأخذ 'بول' إلى حجرة أخرى كى يضربه ، وهنا يشعر 'كريس'بمسؤليته عن الورطة التى وضع صديقه فيها ، إلا أنه لا يستطيع أن يمنع نفسه من مشاهدة صديقه وهو يُضرب من خلال الباب المفتوح ، وقد بدأ يتعلم أن الكاتب شاهد على آلام غيره من الآخرين .

وعلى نحو متناقد ، نجد أن عدم ثقة هامبتون الفطرية فى عملية الكتابة تتضح فى كتاباته الدائمة عن الكُتاب . فمن حين لآخر ـــ فى مسرحية "**الخسوف التام**" و"**المتوحشون**" و"**حكايات من هوليود**" ـــ يعود إلى قضية ما يمكن أن يحققه الفن ولا سيما الكتابة . ومع ذلك فإننا فى مسرحية " **الحرباء البيضاء** " نجد أنفسنا أمام كاتب فى بداية مستقبله الفنى وليس فى نهايته . و يتذكر 'كريستوفر' ـ بحنين ـ التشجيع والمساعدة اللذين تلقاهما عندما كان صغيراً من والده ؛ الذى يفاجئه عندما يوافق على رغبته فى أن يصير كاتباً دون أن يدرى كم يعنى هذا له . يقول كريستوفر: " بالخارج فى الصحراء يوجد تمثال 'لممنون' الذى كان يُسمع أحياناً وهو يغنى ، ولكن فقط عند غروب الشمس ، وأستطيع توضيح هذا . فعندما كان يتحدث أبى عن النور ، فإننى كنت أعرف أن الأمر ليس كذلك ورأيت ظلاما "[٢٧] . إن هذا المشهد واحدٌ من أحزن المشاهد التى كتبها هامبتون ، وهو يذكرنا بالمشهد الختامى فى مسرحية " **الخسوف التام** " حيث يحلم 'ڤيرلين' برؤية 'رامبو' الذى كان يعرفه فى يوم من الأيام عند غروب الشمس .[٢٨]

ويُعطى والده ـ الذى حددت إقامته بالمنزل لبضعة أسابيع ـ بناء على أمر عبد الناصر فجأة أربعاً وعشرين ساعة للخروج من مصر . وينصح الوالد إبراهيم أنه يجب عليه أن يرحل هو الآخر ، فى الحال أيضا ، حيث إن المشاعر المعادية للبريطانيين تزداد ، ولكن إبراهيم يستمر فى البقاء . وأثناء وجوده بالمنزل ، يسمع إبراهيم كما سمع مارك انطونيو صوتاً غريباً مثل

انبعاث موسيقى رائعة ، كما لو كان مكتوباً عليه هو الآخر أن يفقد إسكندريته ، ويقف فى الضوء المتوارى مستعداً لمواجهة اللصوص الذين يقتحمون المنزل .

وعندما عرضت مسرحية " **الحرباء البيضاء** " على المسرح القومى فى الرابع و العشرين من فبراير ، عام ألف وتسعمائه وواحد وتسعين ، فى منتصف حرب الخليج ، أعطى هذا ثقلاً للجملة فى المسرحية التى تقول: إنه حينما كان والد كريس على وشك الانتقال الى موقع جديد كان يدعو قائلا: " يا إلهى لا تجعل هذا الموقع الخليج الفارسى "[٢٩] . وكما أشار 'هامبتون' فى مقابلة مع 'مارك اوسون' فى مجلة المستقبل : " كان وقتا غريبا لمناقشة مسرحية مؤيدة للعرب" ، وأضاف أن البروفات كانت مسائل خطيرة ، لأن الممثلين كان من بينهم اردنيون و اكراد ومصريون ، ولعب 'توم ويل كيسون' دوراً مزدوجاً ككريستوفر ووالده ، ولعب سعيد جعفرى دور إبراهيم ، و'ديفيد بيركن' دور كريس ، ولعب 'استيفن بوكسر ' دور شخصية 'البرت اثريدج'[٣٠] .

وكانت ردود فعل الصحافة على المسرحية فاترة ، واتُهم هامبتون بانغماسه فى الحنين الشخصى للماضى ، فى الوقت الذى كان فيه الشرق الأوسط يدمر نفسه . لقد كان هامبتون دائما يتهم الكتاب ، بما فيهم نفسه ، بالانغماس الذاتى ، ولكن فى وسط الأزمات من الضرورى أن نتذكر أن الناس ليسوا جزءاً من المشهد السياسى فقط ، ولكن لهم حياتهم الخاصة . ويقبل الآن هامبتون أن الانغماس الذاتى هو مجازفة الكاتب المهنية ، وعندما يرفض 'كريس' اقتراح إبراهيم بأن يدخل عالم السياسة نشعر أن هامبتون يتحدث عن نفسه باحساسه الساخر المألوف :

كريس : لن اكون رئيس وزراء يا إبراهيم ؛ لايمكن أن أكون رئيس وزراء يا إبراهيم .

إبراهيم : لا ، إنك تريد أن تكتب قصصا .

كريس : هذا حقيقى .

إبراهيم : نعم ، إنها وظيفة أفضل من إرباك حياة الناس[٣١] .

وبالرغم من الاستقبال النقدى الفاتر للمسرحية ، إلا أنها حظيت بقبول لدى كثير من مشاهدى هامبتون ، فتلقى خطابات كثيرة بشأن هذه المسرحية أكثر مما تلقى بخصوص أى مسرحية أخرى ، وفى الغالب كانت الخطابات من أُناس عاشوا فى المستعمرات . ولقد تأثر هامبتون تأثراً كبيراً بالقصص التى تم روايتها : " لقد كتب رجلٌ لى عن كيف أنه كان طفلاً يعيش فى الهند وقت التقسيم ، و كيف أنه عاد ذات يوم من المدرسة الى المنزل ليرى خادمهم ــ الذى كان مولعاً به ــ مقطوعة رأسه ، وملقاه فى الحديقة الأمامية بالمنزل "[٣٢] .

وفى حديثه الأخير ، يمدح كريستوفر خادم الأسرة الأمين : " أما بالنسبة لإبراهيم فلم أعرف ماذا حدث له ، ولكننى ظللت طيلة حياتى أسمع قلبه السقيم وهو ينبض تحت خشب الأرضية"[٣٣] .

إن ما يجعل لهذه المسرحية أهمية خاصة هو معالجتها لفكرة الآخر. ففكرة الآخر هنا يُنظر إليها من منظور جديد ، ولعل هذا يرجع إلى أن 'كريس' فى المسرحية يتخذ موقفاً حيادياً ، فهو أجنبى فى بلد تستعمره بلاده ، وتفرض عليه القيود ، مما يولد كراهية لدى المستعمَرين تجاه المستعمِر ، وتتبلور هذه الكراهية فى مشاعر الأطفال فى ڤكتوريا كولدج تجاه'كريس' ، فيصفه أحدهم بأنه " انجليزى قذر " ، ويحاول 'كريس' أن يعرف سبب هذا الوصف من والده ، إلا أنه لايتلقى إجابة واضحة ومقنعة ، وعندما يلجأ إلى إبراهيم يراوغه هو الآخر ، ويبدأ كريس فى التفهم بعض الشىء عندما يهاجمه أحد الصبية فى دورة المياه ويحاول ضربه . ويلتمس كريس العذر للصبى ؛ حيث أنه كان قد أصيب برصاصة فى جبينه أثناء إحدى المظاهرات ضد

الاحتلال ، وهنا يبدأ فى إدراك أن عنف الصبى المصرى هو وليد عنف الاحتلال ، وتتضح الأمور أكثر لكريس عندما يتم ترحيله إلى انجلترا ويلتحق بأحد المدارس هناك ، فيكتشف سبب كراهية المصريين للبريطنيين عندما يعامله الصبية البريطانيون بمنتهى القسوة ، وينظرون إليه على أنه غريب ، لأن لون بشرته يختلف عن لون بشرتهم ، ولأنه متعاطف مع المصريين . ويتضح الوجه القبيح للاستعمار فى وصف أحد التلاميذ للآخر على أنه يجلس طوال الوقت على الشجرة ، وهذا وصف يحمل بين طياته الكثير ، فهو وصف يتفق مع نظرة الغربى للشرقى على أنه غير متحضر ، تلك الفكرة التى تذكرنا بوصف اياجو لعطيل فى مسرحية " عطيل " لوليم شكسبير بأنه حيوان مهتم بإشباع غرائزه .

يوازى احتكاك كريس بالصبية فى مصر وبريطانيا احتكاكه بإبراهيم ، ذلك الاحتكاك الذى يتسم بالتفاهم والتعاطف ، فكريس يتعاطف مع إبراهيم نظراً لمرضه ، ويتعاطف إبراهيم مع كريس عندما يضربه الصبية المصريون ، ومن خلال العلاقة بين كريس و إبراهيم ، يلمح هامبتون ، على عكس الشاعر الإنجليزى 'كبلينج'ـ الذى يكتب فى قصيدته "الشرق والغرب": " إن الشرق شرق ، والغرب غرب ولن يلتقى الاثنان/ حتى تلتف الأرض والسماء حول عرش الرحمن يوم الحساب العظيم"[٣٤] . ـ إلى إمكانية التقاء الغرب والشرق ، فى حالة زوال فكرة الآخر ، وإقامة علاقة تقوم على الود والتعاطف والمساواة والاعتراف بالشرقيين على أنهم بشر ، لهم نفس المشاعر والأحاسيس .

الحواشي

١- نقلا عن Robert Kidd and Paul Scofield ص ٦٢.

٢- نفس المرجع السابق ص٦٢.

٣ - نقلا عن John O'Mahony ص٤.

٤- نفس المرجع السابق ص٤.

٥- نفس المرجع السابق ص٤.

٦- نفس المرجع السابق ص٤.

٧ - نقلا عن Oleg Kerensky ص٩٠.

٨ - نقلا عن John O'Mahony ص٤

٩- William J. Free ص١٣.

١٠- نقلا عن John O'Mahony ص٥.

١١- نقلا عن Michael Billington ص٢.

١٢- Christopher Hampton "**الخير**" ص٥٥.

١٣- Michael Billington ص٢.

١٤- Oleg Kerensky ص٩٥.

١٥- Martin Esslin ص٧٦.

١٦- نقلا عن Ben Francis ص٧.

١٧- نفس المرجع السابق ص٨.

١٨-Christopher Hampton " **حكايات من هوليود**" ص٥٦.

١٩- نقلا عن Michael Billington ص١.

٢٠- نقلا عن Ben Francis ص٨٣.

٢١- Christopher Hampton "الحرباء البيضاء" ص١٩.

٢٢- نفس المرجع السابق ص٢٤.

٢٣- نفس المرجع السابق ص٥١.

٢٤- نفس المرجع السابق ص٤٣.

٢٥- نقلا عن Ben Francis ص٨٥.

٢٦- Christopher Hampton "الحرباء البيضاء" ص٣٩.

٢٧ - نفس المرجع السابق ص٣٩.

٢٨ - Ben Francis ص٨٦.

٢٩- Christopher Hampton "الحرباء البيضاء" ص٧.

٣٠ - نقلا عن Ben Francis ص٨٧.

٣١- Christopher Hampton"الحرباء البيضاء" ص٤٤.

٣٢- نقلا عن Ben Francis ص٨٧.

٣٣- Christopher Hampton"الحرباء البيضاء" ص٥٥.

٣٤- Rudyard Kipling "الشرق والغرب" ص١.

المراجع

Billington, Michael. "Free Radical." 26 March 2007, 12 April 2008.<http://www.guardian.co.uk/culture/2007/mar/26/michaelbillington.features11.>

Esslin, Martin. "In Search of *Savages*." *Theatre Quarterly 3* (October/December 1973): 79-83.

Francis, Ben. *Christopher Hampton: Dramatic Ironist.* Oxford: Amber Lane Press, 1996.

Free, William J. Christopher Hampton. *An Introduction to His Plays*. California: The Borgo Press, 1994

Hampton, Christopher. *The Philanthropist. London: Faber and Faber, 1970.*

____.*Tales From Hollywood.* London: Samuel French, 1983.

____. *The White Chameleon.* London: Faber and Faber, 1991.

Kerensky, Oleg. *The New British Drama. London: Hamish Hamilton, 1977.*

O'Mahony, John. "Worlds of his own." 21 April 2001. 10 June 2008 <http://www.guardian.co.uk/ books/2001/apr/21/ stage.film>.

كريستوفر هامبتون

الحرباء البيضاء

ترجمة:

د. عوض حامد الكيلانى

شخصيات المسرحية

Chris	كريس
Fouad	فؤاد
The Egyptian Swimming Team Across The Canal	فريق السباحة المصرى عبر القنال
Chrisptoher	كريستوفر
Ibrahim	إبراهيم
Christopher's Mother	والدة كريستوف
'Robin Hood'	'روبن هود'
'Sitting Bull'	'سيتنج بول'
'Lord Nelson'	'لورد نلسون'
'Rob Roy'	'روب روى'
Christopher's Father	والد كريستوفر
Boys At Victoria College	الصبيه فى فكتوريا كولدج
Edward	إدورد
Boys At Plympton Primary School	الصبيه فى مدرسة بليمبتون الإبتدائية
Albert Etheridge	ألبرت إثريدج
Paul	بول
Cast Of 'An Enemy Of The People'	شخصيات مسرحية 'عدو الشعب'
Boys At Hillside Prep School	الصبيه بمدرسة الهيلصايد الإعدادية
Egyptian Guard	الحارس المصرى
The Headmaster	الناظر

تدور معظم أحداث المسرحية في منزل المهندس الذى يقع على طريق طيبة بمدينة الإسكندرية ، فى الفترة ما بين عامى ١٩٥٢ و١٩٥٦ ، وفى أماكن أخرى تتم الإشارة إليها ، ويلعب دور كل من كريستوفر ووالده ممثل واحد . وهذا يعنى أن حلول ممثل محل ممثل آخر هو – إلى حد ما – جزء من البناء الدرامى للمسرحية ، وهكذا فإن أربعة من الممثلين البالغين يمكنهم لعب أدوار كل الشخصيات المصرية (فيما عدا دور إبراهيم) ، كما يمكن أن يلعب أربعة أطفال ادوار كل التلاميذ الأصغر سناً (فيما عدا دور كريس) ، وبالإضافة إلى ذلك فإنه لو لعب الممثل نفسه دور ألبرت إثردج / ودور الناظر (وهناك بعض التبرير المتعلق بالبناء الدرامى لهذا) ، فإن المسرحية سوف تتطلب ثلاثة عشر ممثلاً .

'إن فكرة أن كل كاتب من الضرورى أن يكتب عن نفسهِ و يصورها في أعمالهِ هي أحد الأفكار السخيفة التي ورثناها عن الرومانسية ، فحتـــي لـــو صادف أن وضع الكاتب نفسه في الصورة ، فإنه من النادر جداً ان يصورها بالفعل كما هي في الواقع' .

آلبرت كامو "**اللغز**" (١٩٥٠)

في وسط الليل ، عندما تسمع فجأة
موكبا خفيا يمر تصاحبه
موسيقي رائعة و أصوات
لاتندم على حظك الذي يتعثر الآن ،
وعملك الذى اخفق وخططك
التي أثبتت خداعها ، لاتندبهم بلا جدوى:
ولكن كإنسان أعد نفسه منذ أمد بعيد ، إنسان كله شجاعة ، ودعها ،
ودع الإسكندرية الراحلة .
وقبل كل شيء لا تخدع نفسك ، ولا تقل
كان حلماً ، وأن اذنيك قد خدعتك:
لاتقلل من شأنك بآمال خاوية كهذه .
ولكن كإنسان اعد نفسه منذ أمد بعيد ، كله شجاعة ،
وكما يليق بك يا من فتحت هذا النوع من المدن ،
اتجه بثبات نحو النافذة
وأنصت بإحساس عميق ، بعيداً عن الأنين ، إلى توسلات الحشد ؛

أنصت — فهى آخر متعة لك — إلى الاصوات ،
إلى الموسيقى الرائعة الصادرة عن ذلك الموكب الغريب ،
وودعها ، ودع الاسكندرية التى تفقدها .

س . ب . كافى " الاله يتخلي عن انطونيو"
ترجمة إدمند كيلى وفيليب شيرارد

الفصـــــل الأول

المشـــــــــــــــهد الأول

(يُسمع صوت الفواصل الافتتاحية المثيرة للنشيد الوطنى المصرى ، وهذا لا يعنى أنها تتذر بشيء ، ثم يحلّ محلها نفس اللحن الذى يتم عزفه على البيانو، وفى غضون ذلك يسطع بعضٌ من الضوء ليكشف عن لوحة غريبة بها عدد ضخم من الرجال ذوى الشوارب السوداء العريضة ، يرتدون ملابس سباحة عتيقة الطراز ، بها خطوط عريضة ، لونها أزرق فى أبيض ، واقفون ينشدون النشيد مثلهم فى ذلك مثل فرقة رباعية مندمجة فى الأداء ، ويصحبهم فؤاد الذى يرتدى أيضاً ملابس سباحة ، ويجلس على بيانو عمودى الأوتار ، ويقودهم كريس ذلك الصبى الإنجليزى الذى يبلغ من العمر عشر سنوات ، والذى يبدو صغير الجسم بالنسبة لسنه ، وهو يرتدى شورت أبيض طويلاً ، ونظارة ذات عدسات سميكة ، ويقود بمزماره ذى الصوت الجلى الآخرين . وتسيرالأمورعلى مايرام مايقرب من مقطوعة ، ولكن عندئذ يبدأ المنشدون ، باستثناء كريس ، فى النسيان ويتوقفون بالتدريج ، ثم يقف فؤاد طارقاً سطح البيانو ، ومصدراً تعليمات حادة باللغة العربية)

المكان المشار إليه هو تقريباً بهو على متن باخرة بريطانية ، والزمان هو سبتمبر من عام ١٩٥٦ .

يلتفت فؤاد إلى كريس: مثال الأدب .

فؤاد : لو سمحت : ما بعد ذلك (يعزف كريس ويغنى منفرداً بيتين ، وحينئذ يتوقف كريس عابس الوجه) معذرة إنى لا أفهم هذه المقطوعة تماما . فما معناها ؟

كريس : لا أعرف .

فؤاد : آه .

كريس : إننى أعرف الكلمات فقط ، ولكننى لاأفهم قط معناها .

فؤاد :إذاً فكيف ... إم ... ؟

كريس : فى دار السينما . فنحن نذهب إليها ثلاث مرات أسبوعياً وهم دائماً يعرضون هذا المقطع قبل الفيلم الرئيسى .

فؤاد : أفهم بالطبع ، نعم ، نعم .

كريس : إنهم يعرضون الكلمات وحفلة رقص ... (يعبر عن حفلة الرقص بإيماءة متحركاً من اليمين إلى اليسار كما يتم التعبير عنها فى النص عربى) ... ولكننى لا أستطيع قراءتها . إننى أتعلمها فقط من الصوت .

فؤاد : (يغنى كريس البيتين مرة ثانية ، وينحنى فؤاد معبراً عن امتنانه ، ثم ينهض ليلحق برفاقه . ويلى ذلك جدلٌ مثير باللغة العربية يتعلق بالمعنى المحتمل للأبيات . ومع مواصلة الجدل فى الخلفية ، يظهر رجل فى منتصف العمر فى جانب آخر من خشبة المسرح ، ويتقدم للأمام لمخاطبة المستمعين ، وهو يلبس حذاء خفيفا ، وقميصاً بنصف كم ، ونظارة ذات عدسات سميكة)

كريستوفر : وضمن أشياء أخرى هذه قصة كيف أننى فى العاشرة من عمرى ، أى قبل غزو السويس بستة أسابيع ، بدأت تعليم فريق السباحة المصرى عبر القناة نشيدهم الوطنى الجديد ، آسف ، ترنيمة التحرير ، على متن باخرة بريطانية قديمة ، فى مكان ما فى البحر المتوسط (يختفى

كريس ، يحسم الفريق جدله اللغوى بشكل يرضى كل فرد ، ويعود فؤاد إلى البيانو . يغنون بيتين ويتوقف فؤاد مبتسماً)

فؤاد : أتريدون تناول بسكويت بالشيكولاتة قبل أن نستمر ؟

كريس : بـــالتـــأكيـــــــد .

(يُخرج فؤاد علبة بسكويت بالشيكولاتة ، عليه سكر خفيف ، من مكان ما ، ويقدمها لكريس الذى يأخذ واحدة ويتناولها ، وبعد ذلك يمرر العلبـــة علـــى زملائه فى الفريق ، الذين يلتهمونها فى غمضة عين)

فؤاد : الطاقة ، كما تعرفون ، جزء من تدريبنا .

(يمضغون البسكويت بلذة لبرهة من الوقت ، وينظر فؤاد إلى ساعته وهى من النوع الصغير المقاوم للماء ذات عصابة معصَم مصنوعة من الصلب)

وعندما نتحدث عن التدريب علينا العودة لحمام الـــسباحة فربمـــا نـــستطيع مواصلة دروسنا فى وقت لاحق .

كريس : وقتمـــــا شِـــــئت .

فؤاد : كنت دائم القول بأن هناك صداقة طبيعية بين شعبينا وها هو الدليل ! إننا نسمو فوق غباء السياسيين ٠

كريس : والنشـــيد الوطنـــى ٠٠٠

فؤاد : ترنيمة التحرير .

كريس : نعـــم ، متى ننشـــدها ؟

فؤاد : على الشاطئ قبل النزول إلى الماء ، فهـــذا ســـوف يرفـــع الـــروح المعنوية.

كريس : لم أكن اعرف أن هناك سباقا عبر القناة .

فؤاد : أوه ، نعم إنه سباق يدعمه السيد 'وليـــام بُـــتلن' الـــذى يعمـــل فـــى معسكرات الأجازات ونحن نمثل الأبطال . إن هذا هو السبب الذى من أجله

نتدرب بجدية ، فليس لدينا وقت لتعلم كلمات ترنيماتنا ونحن بحالة جيدة جداً، فنحن تقريباً نفوز دائماً ، إننا نحطم الرقم القياسى .

كريس : أفهم هذا .

فؤاد : أعتقد أن هذا ربما يأتى من قولك .. إن الأغراب يصلون أولاً إلى كالى (يعيش كريس لحظة من عدم اليقين قبل أن تدفعه الأمانة إلى المجازفة بالتصحيح)

كريس : أعتقد أن المثل هو" يبدأ الأغراب فى كالى" (يتجهم فؤاد مفكراً فى ذلك لبرهة من الوقت وحينئذ يهز رأسه ويشرق جبينه)

فؤاد :لا أعتقد أن هذا صحيح . لا لأننا ننتهى فى كالى . أتعرف ذلك ؟ لذا ربما يمكن القول بأن الأغراب يبدأون فى دوفر (يبتسم ابتسامة ساحرة ، ويحنى رأسه انحناءة مهذبة لكريس ويصدر أمراً فورياً بالعربية ويقود فريقه إلى الخارج ، ويتركون المكان وهم ينشدون ترنيمة التحرير بصوت وقور منخفض)

المشـــــــــــــــهد الثانى

(تتغير الأضواء ويختفى كريس ويعود كريستوفر)

كريستوفر :

وعندما وصلوا إلى إنجلترا ، منعهم 'بلى بُتلن' من السباق . وذلك لمبررات وطنية قائلا: إن أقلها ــ بلا شك ــ هو أن فوزهم كان شبه مؤكد . وكان ذلك نوع من الخِسة جعلنى أعتقد أن صديقى قد كان على حقٍ عندما قال: إن

الأغراب يبدأون فى دوفر ، وعلى آية حالٍ ، فقد قِيل إن الرجل الذى يتمتع بذاكرةٍ جيدة لا يتذكر أى شىء ؛ لأنه لا ينسى أى شىء .

وبالمثل فإن الرجل ذا الجذور الثقافية والعِرقية والإجتماعية وما شابه ذلك لا يفكر كثيرا فى ذلك الأمر ، أما المجرد منها فيظل على درايةٍ قويةٍ بهذا ، مثلهُ فى ذلك مثل الألم الوهمى فى وُصلٍ مبتور . إن أطول مدة قضيتها فى بلدٍ : هى عامان ونصف قضيتهما فى مسقط رأسى فى مدينة صغيرة تسمى فِيال ، تقع فى أزورز ، وهى فترة لا أتذكر منها شيئا ، ولذا ليس لى جذور هناك . إن أولى ذكرياتى تتعلق بالمناظر ذات الطبيعة الجرداء فى عدن ، والتى تشبه كثيراً سطح القمر باستثناء أنها حارة . وقضينا هناك ثمانية عشر شهراً فقط . وكنت قد بدأت تعليمى فى دير كاثوليكى ، وهناك وقعت فى مشكلة مع راهبة متوحشة جداً ذات شارب ؛ ولذا لا جذور لى هناك أيضاً .

لا ، إن المكان الذى اخترته كى يكون مرساتى لابد وأن يكون هنا : (تُسلط الأضواء على المشهد الرئيسى ، وهوعبارة عن ڤيلا شبه منعزلة . وعندما تقف على البلاط ذى اللون الأحمر الهادئ وتوجه ظهرك ناحية الباب الأثاث المصنوع من الخشب السميك ، فإنك تتجه يميناً إلى حجرة الجلوس الكبيرة ، ذات الأثاث المريح غير المميز ، و بها لاسلكى ضخم غير مثبت على الأرض المغطاة بخشب الباركيه ، ويساراً إلى حجرة المعيشة ، وفى منتصف اليسار إلى مطبخ إبراهيم المتواضع ، أوتتجه مباشرة إلى الأمام نحو حجرة إضافية صغيرة ومظلمة ، بها مكتب كريس ، وكرسى هزاز ، وماكينة حياكة ، كما يوجد سلم يؤدى إلى النزول للدور الأول ، وتشغل شرفة واسعة ، مبلطة أيضاً ببلاط أحمر ومزينة بنبات البوغنفنليه[1] ولها مدخل من حجرة الجلوس يشغل حوالى جانب ونصف من المنزل ، ويقع خلفها جزء من حديقة معتنى بها اعتناء تاما ، وبها صريمة

[1] - نبات معترش ذو زهور لونها أرجوانى وأحمر.

الجـــدى[1] ، وورد وأشجار الخِطمى[2] الوردى ، ونبات أبو خنجر[3] ، ويفصلها عن بعضها ممرات لونها احمر . وتنبعث أصوات الباعة من الشوارع حيث يبيعون الماء والشاى والفول أو التـــرمس والزبـــادى أو الـــذرة المـــشوى والكوكاكولا ، وكذلك تسمع ضجيج المارة ، وصوت الموســـيقى المـــصرية التى تنبعث هى الأخرى من شباك الجار المفتوح ، وصفير الترام الذى يسير بانتظام ، ويقابل هذا ضجيج أصيل يوم حار. يتأمل كريستوفر كل هذا للحظة قبل أن يستأنف روايته)

وكان بيت المهندس يقع بشارع طيبة الذى لا يبعد كثيرا عن محطة قطار كليوباترا بالإسكندرية .

وصادف أن تتزامن فترة وجودى بالإسكندرية مع تغيير هائل وشـــامل ، وفترة تحول فى تاريخ القطر : وهى الفترة مابين قيام الثورة المصرية حتى قيام أزمة السويس[4] و . . .

(يكف كريستوفر عن الكلام عندما يلمح فجأة مصريا يبدو عليـــه الوقـــار ، ويبلغ من العمر حوالى خمسين عاما ، ويرتدى جلباباً أبيض ، وطربوشـــا ، وصندلا مقدمته مقلوبة ، يقترب من القاعة . يتوقف الرجـــل بجانـــب أحـــد المستمعين ، ويخرج بيضة من أذن المستمع ، ويبدو الرجل مـــسرورا مـــن هذا ، ويخفى البيضة فى كمه ، أو جيبه ، ثم يقف أمام مستمع ثان ، وفـــى هذه المرة يكون التأثير أكثر إتقانا ، ويقوم الرجل بالتفتيش فى الجيب الداخلى للمستمع ويخرج ثلاثة أو أربعة كتاكيت حية . ويشاهد كريستوفرهذا وهـــو مسرور ، بينما يشق الساحر المدهش طريقه بخطى غريبة وثقيلة ومترنحـــة تجاه حجرة المعيشة بالفيلا ، حيث توضع كاسات نحاسية عديدة ومتنوعـــة ،

---

١ - شجيرة أزهارها غنية بالرحيق.
٢ - نبات يزرع فى الحدائق ذو سيقان طويلة جداً تغطيها زهور الوانها زاهية.
٣ - نبات زهوره صفراء أو حمراء او برتقالية وأوراقه مستديرة.
٤ - تعرف أزمة السويس فى التاريخ المصرى بالعدوان الثلاثى على مصر.

وزهور مزينة بالورق على حافة منضدة مليئة بطعام الحفل الخاص بالأطفال وينهى كريستوفر جملته)

... تربع عليها عبقرية المكان ، وهو خادم المهندس الذى عمل بالمنزل لفترة تزيد عن عشرين عاما ، وهو إبراهيم ذو الهيبة .

وفى الخامس والعشرين من يناير عام ١٩٥٢ ، وبعد مناوشات ضخمة فى منطقة القناة ، قام الجيش البريطانى بذبح حوالى خمسين مساعد شرطة بالإسماعيلية ، وتم إعلان حالة الطوارئ بالقاهرة والإسكندرية ، كما بدأت ردود الفعل المصرية ، والتى اتخذت شكل الشغب والمظاهرات المعادية لبريطانيا ، وفى اليوم التالى لذلك اليوم الذى أصبح معروفا بيوم السبت الأسود[1] ، والذى لم يكن أسود بالنسبة لى ، بل كان يوم ميلادى .

(يظهر كريس مرة ثانية ، وهو يرتدى فى هذه المرة بدلة قرصان وعلى عينيه عصابة سوداء بصحبة والدته ، وهى امرأة طويلة شعرها أسود فى أواخر الثلاثينيات من عمرها كما يصحبه أربعة أو خمسة من ضيوف الحفل ، وكلهم صبية يرتدون ملابس تنكرية ، وهم يتنكرون فى شكل 'روبن هود' 'وسيتنج بول' 'ولورد نلسن' و 'روب روى' ، وجميعهم يشاهدون إبراهيم وهو يؤدى المهمة التقليدية اليومية للساحر ، تلك الخدع الساحرة ذات الأكواب النحاسية ، والكور البيضاء والكتاكيت والبيض والتى يؤديها أمام مشاهدين يفهمون ويقدرون ما يفعله . يضع كريس نظارته فوق العصابة)

ونظراً لهذه الظروف ، كان عدد الحاضرين قليلا إلى حد ما . فقد احتُجزَ بالمنزل 'ولتر' ، صديقى الأمريكى الذى يعمل والده فى شركة شل ، وكذلك 'إيرو' الذى يعمل والده قنصلاً لفنلندا . أما والدى فقد تم استدعاؤه

١- يعرف السبت الأسود الآن بعيد الشرطة.

إلى مكتبه على غير العادة يوم السبت ، ولولم تكن مساكن شركة الاتصالات تقع بشارع طيبة ، أظن أن أحداً لم يكن ليحضر .

وكانت الشركة هى شركة الاتصالات التى تم تأميمها بالطبع ، والتى كانت تُعد آنذاك واحدة من أقدم الشركات الاستعمارية ، وكانت الشركة تفضل الدفع لموظفيها فى شكل شراء منازل و سيارات لهم والدفع للخدم والاشتراكات فى نادى سبورتنج بدلا من أن تدفع لهم نقدا . وكانت أمى من أسرة تعمل أيضاً فى شركة الاتصالات وكان لى أولاد أعمام يعملون فى الأردن ، وكان أخوالى يعملون فى ليما وبينانج وأجدادى فى الكاريبى وكنا جميعا مدركين لفكرة أنه من الممكن إرسالنا فى أى وقت لأى ميناء أو جزيرة فى العالم ، فى أى مكان تصل فيه الكابلات للشاطئ : ومع ذلك كان الناس لا يندمون على أنهم إنجليز .

(وبينما ينهى كلامه ، ينتهى إبراهيم من خدعته الأخيرة ، وهى عبارة عن تحويل مجموعة من الزهور المصنوعة من الورق إلى مجموعة من الأعلام ، ثم تحويل هذه الأعلام إلى علم واحد وهو العلم البريطانى . وعندما يتحدث إبراهيم فإنه يتحدث بنبرة عربية واضحة وجميلة)

إبراهيم : احكمى يا بريطانيا !

(ينحنى أمام عدد من الأطفال الذين يصفقون ، ثم يرفع يديه مطالباً إياهم بالصمت)

شكرا ، والآن من فضلكم ، اذهبوا للعب لبضع دقائق ، فأنا أريد الانتهاء من إعداد التورته .

'روب روى' : الاستغمايه .

كريس : حسنا ، أنا سوف أخفى الحقائب .

الوالدة : فى الحديقة ، من فضلك .

كريس : عدّ لى حتى عشرين .

(يجرى من الحجرة ويخرج من المنزل . وعند فتح الباب الأمامى ، كما هو الحال الآن ، تظهر ستارة على شكل شبكة سميكة تمنع الحشرات وتحجب ضوء الشمس المباشر . يتسلل كريس وراء هذه الستارة بسرعة تدل على التمرس ويختفى ، ويبدأ الأطفال فى العد حتى عشرين ويعود إبراهيم إلى مطبخه ، ويصنع تورته خفيفة ، ويبدأ وضع لمساته الأخيرة عليها ، ويضع ست شعلات بدلا من الشمع ، وتظل والدة كريس فى مكانها لفترة ، وعندما يتفرق الأولاد ، تمر من الصالة إلى حجرة الجلوس ، وتأخذ سيجارة من علبة ، وتشعلها باستخدام ولاعة المنضدة ، وفى مكان ، ما وبين كل هذا يجلس كريستوفر ، ويستأنف حديثه)

كريستوفر : كانت الإسكندرية هى محور حياة أبى ، فكانت أول موقع عمل به فى العشرينيات وفيها فقد زملاء له فى الوباء التيفودى الذى نجا منه بالرغم من أنه قد دمر جدار معدته ، وإليها عاد متزوجا حديثا فى الثلاثينيات.

وفى منتصف فترة كل أجازة ــ والتى كان مدة كل منها ثلاثة اشهر ــ كان على موعد مع الزيارة التى كان يهابها كثيراً إلى المكتب الرئيسى الذى كان يقع فى مبنى عطارد على طريق ثيوبولدز ، حيث كان موظف الاتصالات يتسلم موقعه الجديد . وكان أبى دائما يدعو ، بالرغم من أنه لم يكن متدينا ، قائلا : يا إلهى لا تجعل مقر عملى الجديد بالخليج الفارسى وكان يدعو هذا الدعاء قبل أن يذهب ببدلته الخفيفة ذات اللون الرمادى . وكان أبى مسرورا عندما أعادوه هذه المرة مهندساً إلى الإسكندرية . فقد كان ذلك بالضبط ماتمناه .

(وفى غضون هذا ، كان البحث عن كريس يتقدم تقدما غير مُجدٍ ويتشاور الأطفال الذين تتصاعد حيرتهم مع بعضهم البعض من آنٍ إلى آخر بالقرب من المنزل)

وتوافقت الإسكندرية التى عاش فيها أبى مع تلك التى عـاش فيهـا إ. إم. فورستر(E. M. Forster) وكفافى (Cavafy) ولورنس دريل(Lawrence Durrell) ولكن فقط من حيث المكان والزمان . فالإسكندرية التى عـاش فيها أبى كانت مدينة مختلفة تماما . ولدى صورة فوتوغرافيـة لأبـى تـم التقاطها فى عام ١٩٣٦ ، تغير لونها الآن إلى اللون البنى الداكن . وفى هذه الصورة يرتدى أبى بدلة سباحة عتيقة الطراز ويحلق مستوياً فـوق حمـام سباحة غير مرأى ، ويبسط ذراعية استعداداً للغطس ، ومن خلفه سطح غير مزخرف لمنصة سباحة عالية ، وفى الخلفية مبانى الشقق التى تحيط بنـادى السباحة فى سموحة . إنه فعلا فى الوضع طائراً . وأنا أحتفظ بتلك الصورة كى تذكرنى بالفروق بيننا .

(يتوقف فجأة عن الكلام ، ويفكر لحظة ، ذلك فى الوقت الـذى يبـدأ فيـه الأطفال النداء على كريس)

'**روبن هود**': كريس ؟

'**تلسون**' : أين أنت ؟

'**سيتنج بول**' : إننا نستسلم .

'**روب بوى**' : أنت الفائز .

(ليس هناك استجابة . يرفع كريستوفر عينيه ، وتبرق نظارته عندما يقـع الضوء عليها)

كريستوفر : لقد ورثت عن أبى بعض الأشياء مثل : شكل وجهى ، والطبع المتفائل ، والحساسية ضد الطماطم ، ولكننى اكتشفت مبكراً أن هناك شيئا ما خطأ فىّ ، والسبب أننى كنت الوحيد ، فى أسرة من الرياضيين ، الـذى لا يستطيع رؤية الأحرف الكبيرة ، مع أن أبى كان نظره ممتازاً .

(يمسح كريستوفر نظارته ويضعها جانباً ويصبح فى شكل والده . يُسرع تجاه المنزل ، محيياً الأطفال تحية تنم عن الارتباك . يدخل المنزل ويطل برأسه من باب حجرة الجلوس)

الوالد : لينوكس ينتظر بالخارج كى يوصل الأولاد إلى المنزل .

الوالدة : ماذا ؟

الوالد : أنا آسف ، الدنيا مقلوبة . أين كريستوفر ؟

الوالدة :إنه يلعب فى الحديقة مع الأولاد .

ماذا تقصد بقولك الدنيا مقلوبة ؟

الوالد : هناك شغب فظيع فى القاهرة وفوضى وحرائق ونهب ، وبعض الناس قُتِلوا ، لقد حرقوا مكتب باركلى الرئيسى وشركة الخطوط الجوية البريطانية عبر البحار ، والعديد من دور السينما ونادى الخيل ومحلات شيب هيردز .

الوالدة : شيب هيردز ؟

الوالد : ليس هناك مشكلة هنا حتى الآن . ولكن لا يعرف أحد ما قد يحدث . ساعدينى فى توصيل الأولاد إلى المنزل .

(تلحق به ويخرجون إلى الحديقة حيث يتسكع الأطفال شاعرين بالملل بعد أن يئسوا من إيجاد كريس . وتتحدث الوالدة إلى 'روب بوى')

الوالدة : إن أباك فى السيارة بالخارج . سوف يوصلك للمنزل .

الوالد : كريستوفر ؟

الوالدة : لذا تعال وهات الهدايا التى سوف تأخذها معك إلى المنزل .

الوالد : من المحتمل أن تكون هناك غارة ، ولذا عليكم الذهاب إلى المنزل قبل حلول الظلام .

(ليس هناك أحد يسمع للأب ، لأن الأولاد كلهم أسرعوا إلى المنزل لإحضار هداياهم . يلتفت الأب وينظر من حوله)

كريستوفر ؟

(يعود الأب إلى المنزل ويتم توزيع الهدايا فى الصالة . وفى أثناء ذلك يشعل إبراهيم الشُعل ، وذلك لأنه لم يفهم ما يدور من حوله ، ويصل إلى الصالة ومعه التورته ، مغنيا أغنية عيد ميلاد سعيد)

الوالدة : ليس الآن يا إبراهيم .

إبراهيم : أنا آسف يا سيدتى .

(يعود إبراهيم إلى مطبخه ، ويفتح حنفية الماء البارد ، ويطفئ الشعل واحدة بعد الأخرى بشىء من الصعوبة ، وفى غضون ذلك تودع والدة كريستوفر الأطفال ، ويصحبهم والده إلى خارج المنزل ، ثم يتوقف لينادى مرة ثانية بلا جدوى)

الوالد : كريستوفر ؟

(تذهب والدة كريستوفر إلى المطبخ)

الوالدة : آسفة على ذلك . لم يكن موجودا هناك .

إبراهيم : إنها غلطتى يا سيدتى .

الوالدة : أيمكنك إشعال هذه الشعل مرة ثانية؟

إبراهيم : بالطبع .

(يعود والد كريستوفر لينضم إليهم)

الوالد : أتعتقد أنه قد يكون من الأفضل لك أن تذهب للمنزل يا إبراهيم ؟

إبراهيم : لا ، لا يا سيدى ، لماذا ؟

الوالد : يبدو أن هناك كثيرا من القلق .

إبراهيم : فى القاهرة ، كل هؤلاء الناس فى القاهرة .

الوالد : قد تحدث غارة .

إبراهيم : فى هذه الحالة ، مازال أمامنا بعض من الوقت ، ولكن فى ظل هذه الظروف ربما يكون من الأفضل أن تتناول مشروب الويسكى الآن ؟

الوالد: يبدو هذا جيدا .

إبراهيم : وأنتِ يا سيدتى ؟

الوالدة: يمكننى أن أتناول كأساً بالتأكيد .

الوالد: أين كريستوفر ؟

إبراهيم : سيكون فى مكانه .

الوالد: وأين ذلك المكان ؟

إبراهيم : سوف أجده . ولكن كل شىء بالترتيب ، نعم ، الأول ، احضر لكم المشروبات .

الوالد: شكراً .

(عندما يُترك وشأنه ، يأخذ إبراهيم ماصّة صودا وصينية ثلج من الثلاجة ، ويضعها على المنضدة ، ويحضر الويسكى وكوبين من الخزانة . وأثناء ذلك يمر والد كريس ووالدته من داخل المنزل ويخرجان إلى الشرفة)

الوالدة: أعتقد أنه من الأفضل ألا نذهب إلى حى المسارح بعد ظهر الغد .

الوالد: أوه ، لا أعرف .

الوالدة: حسناً ، ألا تعرف أنهم يدمرون دور السينما ؟

الوالد: سوف نرى . أعتقد أن كل شىء سوف يهدأ .

(يخرج علبة صفيح بها خليط من تبغ المركوفيتش من جيب قميصه ، ويأخذ منها سيجارة غليظة ملفوفة ، وينفضها على العلبة الصفيح ، ويشعلها بولاعة فضية ، وأثناء ذلك أعد إبراهيم المشروبات ، وهى عبارة عن كميات كبيرة من الويسكى والثلج وماصّات الصودا الطويلة ، وقام بوضع الأكواب على الصينية . ويظهر كريس مرتديا بدلة القرصان الخاصه به دون أن يراه والداه ، وهو يظهر وحيدا ومرتبكا وينظر بتعاسة حوله فى الحديقة)

كريس : مرحبا ؟ هلا استسلمتم ؟

(يلمح إبراهيم كريس وهو فى طريقة عائداً بعد أن قدم المشروبات . يدخل إبراهيم من الباب الأمامى إلى الحديقة ثم يتوقف ، وهو قلق بسبب تعاسة كريس)

أين ذهبوا ؟

إبراهيم : إنها غلطتى ، لقد ارتكبت خطأ . لقد كنت أصنع خدعة . قلت جلى جلى جلى و كلهم اختفوا ، للأسف .

كريس : هل فعلت ذلك حقا ؟

إبراهيم : لا ، لقد جاء والد الولد الذى يرتدى بلوزة وأخذهم لكى يوصلهم إلى المنزل ولم يستطيعوا العثور عليك وكنت أعرف أنك فى مكانك ولكننى لم أُخبرهم . تعال سوف نحضر لك تورتتك .

(وفى غضون ذلك ، يصلون إلى المطبخ ويبدأ إبراهيم محاولة إشعال إحدى الشعل المبتلة ولكنه لم يفلح بالطبع)

كريس : هل ستعلمنى كيف تؤدى خدعك ؟

(يتلفظ إبراهيم ، الذى يحاول بلا جدوى أن يشعل شعلة أخرى بعود كبريت ، بمجموعة من الجمل العربية البذيئة ذات النغمة الموسيقية)

هل ستفعل ؟ علمنى واحدة منها فقط .

إبراهيم : هناك خدعة واحدة ، وأنا فى حاجة إلى من يساعدنى فيها .

كريس : وماهى ؟

إبراهيم : أترى زجاجة الويسكى هذه ، عليك أن تنظر وترى كيف يأتى الويسكى من أعلى ، انظر إلى الورقة المكتوب عليها الماركة ، تذكر بالضبط من أين يأتى الويسكى ؟ حسنا ؟

(وبينما يتكلم يخرج من الثلاجة زجاجة باردة من جن الجوردون[1] غير مسدودة بسدادة ويخرج كوباً من الخزانة)

١- شراب مسكر قوى.

حسنا ، أتتذكر ؟

كريس : نعم .

(يأخذ إبراهيم زجاجة الويسكى ويصب لنفسه جرعة كبيرة ويزودها بمقدار من ماء الصودا)

إبراهيم : والآن عليك أن تأخذ زجاجة الماء المغلى ، وتصب على الويسكى حتى تصير كما كانت من قبل .

كريس : هذه ليست بخدعة .

إبراهيم : إنها أفضل ما عندى .

(ينظر كريس إليه لحظة وهو يتردد وحينئذ يعقد عزمه ، ويلتقط زجاجة مشروب الجن ، ويصب بحرص شديد بعض الماء فى زجاجة الويسكى ، و فى أثناء ذلك يبحث إبراهيم من حوله ويأتى بشعله لم تستخدم من قبل)

هذا رائع . إنك ساحر عظيم . هذه مساعدة لى ، أتعرف ، لأننى مثل جورج واشنطن لا أستطيع الكذب إلا إذا كان الكذب ضروريا ؛ ولذا فإنه عندما تقول سيدتى : " اتسقى الويسكى يا إبراهيم ؟" فإننى يمكننى القول لا .

(يشعل الشعلة وينجح فى تثبيتها فى التورتة ويناوله كريس زجاجة الويسكى ويضعها هى والمشروب الذى تم صبه فى الخزانة . يحدق كريس النظر فى التورتة)

كريس : ألا يجب أن يكون هناك ستة ؟

إبراهيم : يجب أن يكون هناك ستة ولكن واحدة تكفى ، ألا تعتقد ذلك ؟

(يخرج سكينا وثلاثة شوك وثلاثة أطباق وبعض من المناديل الورقية)

عليك أنت التورته .

(يحمل كريس التورته ويسير إبراهيم أمامه إلى حجرة الجلوس ، ويلفت نظر والدى كريس بإيمائه ويقودهم فى ترديد أغنية عيد ميلاد سعيد)

الوالدة : الآن يمكنك أن تطفئ ال ٠٠٠أوه . قطع التورته وتمنّ أمنية .

(يصفقون بينما يقطع كريس التورته)

هذا جميل جداً ، أتريد قطعة يا إبراهيم ؟

إبراهيم : فيما بعد ، يا سيدتى . سوف أنظف حجرة الطعام أولاً .

(يتركهم عندما تبدأ والدة كريس فى توزيع التورتة . يدخل إبراهيم حجرة الطعام ، ويعد لنفسه لفتين من السجق ، ويأخذهما إلى المطبخ ، وهناك يفتح علبة خفيفة من السجائر المصرية ، ويأخذ نفساً عميقاً بينما يخرج الويسكى الخاص به من الخزانة . ويتوارى الضوء من على حجرة الجلوس بينما يخرج إبراهيم علبة حبوب ورقية من جيب جلبابه . يأخذ حبتين ويضع العلبة بعيداً ، ويجلس على منضدة المطبخ ، ثم يتناول الحبوب مع جرعة من الويسكى ، ثم يأخذ نفساً آخر من الدخان ، ويمد يده ليأخذ أول لفة من السجق، بينما يتحول ضوء المطبخ إلى ظلام)

المشهد الثالث

(يظهر كريستوفر وحيداً مسلطا عليه بعضٌ من الضوء)

كريستوفر : إن مكانى ، إذا تساءلت ، كان عبارة عن حفرة لايمكن اختراقها ، تحجبها شجرة رحيق ، وتقع بين شجرة كافور ضخمة ــ وهى اكبر شجرة فى الحديقة ــ وحائط من الطوب الأحمر بمحاذاة جانبى المبنى . وكانت الحديقة والشارع على مستويات مختلفة من الارتفاع ، وكان الجدار منخفضا فى هذا المكان من أحد الجوانب بدرجة تسمح لى بمشاهدة حياة الشارع من على إرتفاع عشرة أقدام ، وكان يقع على الجانب الآخر من

الشارع محلٌ عبارة عن كشك يبيع الحلوى التى كنت أُفضلها ، وهى عبارة عن قطع صغيرة مسكرة لونها اخضر غامق ، وكان شكلها على شكل الهُلام ونكهتها بطعم زيت الكافور . وكان على أن أنادى فقط ليحضر لى صاحب المحل قطع الحلوى هذه فى شنطة ورقية بيضاء ، وكان يناولنى إياها على طرف عصا بها خطاف . ولم تكن تلك طريقة تقليدية للتسوق . وفى آخر طابق من أحد المساكن ــ التى تقع على جانبى الشارع ــ كانت تقطن سيدة يونانية اسمها 'بيلا' . وكانت هذه السيدة منتظمة كصوت الآذان ، فهى تقرأ كل يوم فى التاسعة صباحاً بصوت عالٍ قائمة الأشياء التى تريد تسوقها ، وبعد ذلك تُنزل سلتها التى يتلاقى عندها عديد من أصحاب المحلات المتنوعة وهم يحملون البضائع التى طلبت إياها . وأحياناً كانت تُنزل كلبها الارمنت ، ليضيف مقداراً ضئيلاً جداً إلى نفاية الشارع ، وكنت أتلهف دائماً على مشاهدته ، وهو يعود مسرعاً ، ويقفز إلى السلة ، لأن ظروف حياتنا كانت لا تسمح لنا بالطبع بإيواء الحيوانات المدللة . وهذا يقودنى إلى المصدر الأساسى للجاذبية فى المكان : الحرباء البيضاء .

يُعتقد أن الفكرة القائلة بأن الحرباء تغير لونها وفقًا لمكانها فكرة خاطئة : فمن الواضح أن العوامل التى تحدد ذلك هى درجة الضوء والحالة العاطفية للكائن . وكل ما أستطيع قوله هو أن حربائى كان لونها أبيض ضارباً إلى الرمادى وفقا للون المكان . وربما كان لونها أمهق أو شاحبا نظراً لانعدام الشمس . وكان لونها يتغير إلى اللون الأخضر عندما تحوم بين أوراق النبات ، وكان لونها يتحول إلى اللون الأحمر الخفيف عند ملامسة الحائط . وعند وصولى كانت الحرباء تقبض على الفرع بثلاثة أصابع من ناحية وإثنين من الناحية الأخرى ، وتتأرجح عن عمد للخلف والأمام . وربما كان هذا تعبيراً عن الخوف أو العدوان (وكان لهذا الكائن مجموعة من الأسنان الصغيرة التى بدت متسخة) ولكنى آثرت النظر إلى هذا على أنه نوع من

التحية ، وكانت الحرباء تميل إلى العزلة ، وتقضى الشتاء فى حالة من الخمول ، ولكننى فى ذلك اليوم ، يوم السبت الأسود ، عندما ذهبت كى أختبئ ، وجدتها هناك وكأنما هناك دافع أساسى قد أيقظها من سُباتها . وكانت تبدو واهنة بعض الشىء ولكننى انتظرتُ ، وانتظرتْ هى ، وعندما وقفت ذبابة على الحائط على بعد قدمين لفت عينيها لفةً سريعة مثل مدفع مضاد للطائرات ، وانقض لسانها الحاد دائم اللزوجة على الفريسة .

(فى منطقة منعزلة مسلط عليها الضوء ، يظهر كريس مرتدياً زيه المدرسى ، وهو عبارة عن شورت رمادى وسترة فضفاضة لونها ازرق ، وكاب ازرق وجوارب رمادية وصندل . وهو يمسك يد والدته ويحمل حقيبة)

نعم . التحقت بأكثر مدارس الإسكندرية مصروفات ، واقتصاراً على الأغنياء ، وهى ڤيكتوريا كولدج ، والتى التحق أحدُ خريجيها الجدد بهارو(Harrow)[1] وسندهيرست (Sandhurst)[2] وتم تتويجه ملكاً للأردن ، وهو الملك حسين . وكانت أمى تصحبنى كل صباح فى الترام على طول الخط حتى آخر محطة ، والتى كان اسمها محطة ڤيكتوريا ، وكانت تأتى كل يوم بعد الظهر لتصحبنى إلى المنزل .

(يترك كريس يد والدته ويسرع ليلحق بمجموعة من أربعة أولاد صغار كلهم مصريون وكلهم يرتدون زى ڤيكتوريا كولدج . تنظر أمه لحظة ثم تستدير إلى الخلف وتختفى . يبدو الأطفال أقل سرورا لرؤية كريس . يشعر كريس بهذا ويحاول أن يبتعد فجأة ، ولكن سبق السيف العذل . يحاصره الأطفال فجأة ويقوم واحد منهم بطرح كابه أرضاً ، بينما ينحنى آخر ، ويأخذ حفنة من الرمل ويحكها فى وجه كريس)

وحتى فى هذه الدوائر الراقية ، لم تمر مذبحة الإسماعيلية بدون ملاحظة .

---

١ - مدرسة داخلية للصبية فى شمال غرب لندن.

٢ - الأكاديمية الحربية الملكية بمقاطعة سارى بجنوب إنجلترا.

(يقوم الأولاد بدفع كريس من واحد إلى آخر وتزداد خشونتهم ، حتى يقع فى النهاية على الأرض ، ويختفى تحت وابل من الضرب واللكمات . يسود السكون و يبتعد الأولاد عنه ، وحينئذ يتقدم واحد منهم إلى الأمام ويُكـون ببطئ كمية كبيرة من الرُضاب فى فمه ويبصقها على كريس المستلقى على الأرض قبل أن يتكلم بهدوء مميت)

الصبى : أيها الإنجليزى القذر .

(تختفى الأضواء من على الأطفال ، ويفكر كريس للحظة)

كريـستوفر : وكان هذا التعبير أكثر قوة من التعبيرات المألوفة فى خطابات الزعيم ناصر : يارب يا قادر تبلى البريطان بمصيبة ! ، وكان هذا مبـرراً فى حالة ذلك الصبى حيث أن جندياً بريطانياً أصابه ذات مرة بـشظايا فـى جبينه أثناء مظاهرة . وكانت هذه واقعة فردية ، وقررت ألا اذكرها لولا أن أمى قد رأت خدودى المخدوشة ، وركبتى المـسحوجة ، وعرفـت كيـف تضعف إرادتى ، وكانت المحصلة اجتماعا أُسريا .

المشـــــــــــــهد الرابع

(يخلع كريستوفر نظارته ويأخذ مرة ثانية هيئة والده . وتجلس ، بالإضافة إلى كريس الذى مازال يرتدى زيه المدرسى ، والدته ، وتأخذ ملامحهم شكل الجدية ، ويقوم إبراهيم بنتف شعر السمان فى المطبخ . ويبلغ عدد الـسمان حوالى نصف دسته أو ما يقـرب من نصـف دسـتة مـن الأحجـام الصغيرة . ويرتدى إبراهيم طربوشه وبيده منفضة لضرب الذباب)

كريس : من فضلك لا تفعل . فليس هناك ما يدعو إلى ذلك . وسيكون كل شيء على ما يرام .

الوالد : سأكتب خطابًا الآن وسوف تسلمه والدتك باليد عندما تصحبك غدا ولن يكون لك صلة بذلك .

كريس : لا أريدك أن تكتب .

الوالدة : الأمر سيكون مثلما كتب والدك للسيدة المسئولة عن الجمعية الدينية فى عدن ، ألا تذكر ذلك ؟

كريس : لا .

الوالد : نعم ، أنا كتبت إليها بشأن الراهبة .

كريس : الراهبة ذات الشارب .

الوالد : نعم ، هذا صحيح ، الراهبة التى قالت إنك لا بد ألا تكتب بيدك اليسرى ، لأنها يد الشيطان . وكتبت إليها وقلت إنك أعْسَر ، ولذا تكتب بيدك اليسرى . وبذلك إنتهى الأمر ولم تحدث أى مشكلة بعد ذلك ، ألا تذكر ذلك؟

(يسود الصمت ، بينما يفكر كريس للحظة)

كريس : نعم ، ولكن الأمر يختلف ؟

الوالد : إننى لا أرى سبباً لذلك . فالأولاد يتنمرون عليك وأنا لا أحب أن يتنمر عليك أحد . سوف أطلب من الناظر أن يضع حداً لذلك ، فلماذا الأمر يختلف إذن ؟

كريس : لأن المُدرسةُ فى عدن كانت هى التى تتنمر على ، أما هنا فالأولاد هم الذين يتنمرون على .

الوالدة : إننى لاأرى أن هناك فرقاً .

(ولكن والد كريس يفكر فى هذا للحظة . وأثناء ذلك ينجح إبراهيم فى قتل ذبابة)

كريس : لا أريد أن أكون نماما .

الوالد : حسناً ،إننى أتفهم ذلك .

كريس : على أية حال ، لماذا يسموننى إنجليزياً قذراً ؟

(يقضى والد كريس بعضاً من الوقت يبحث عن إجابة)

الوالد : أوه ، السياسة كالمُعتاد .

كريس : ما معنى هذا ؟

الوالد: إنهم يراوغوننا فى منطقة القناة .

كريس : لماذا ؟

الوالد: يريدون استردادها .

كريس : ولماذا لا نعطيها لهم ؟

الوالد: سنفعل ذلك فى غضون ثلاث أو أربع سنوات .

كريس : ولمَ لا الآن ؟

الوالد: حسناً ، الاتفاق اتفاق .

كريس : لا تكتب خطاباً .

(صمـــــــــت)

الوالد: سوف نفكر فى ذلك .

كريس : سوف أُحضر مشروباً .

(يترك كريس الحجرة ، ويتردد خارج الباب فى الصالة لكى يتصنت)

الوالدة : أعتقدُ أنك يجب أن تكتب خطابا .

الوالد : أليس من الأفضل أن ننقله من هذه المدرسة ؟ لم أفكرقطّ فـــى هـــذا وهى على بعد أميال .

الوالدة : متطرفة بعض الشىء .

الوالد : لكى أكون صريحاً معك أنا لست متأكداً تماماً ما إذا كان سيسمح لكم بالإقامة هنا فترة أطول من ذلك .

الوالدة : ماذا تقصد ؟

الوالد : بدأوا يتحدثون عن إخلاء النساء والأطفال .

الوالدة : ومن قال ذلك ؟

الوالد : فى الجرائد ، فى المكتب .

(صمت . تفكر فى هذا لبرهة من الوقت)

الوالدة : مازلت أعتقدُ أنك ينبغى أن تكتب هذا الخطاب .

الوالد : سوف أفكر فى ذلك .

(يبحث عن الجريدة ، ويمشى كريس على أطراف أصابعه ويدخل المطبخ عند إبراهيم)

كريس : مرحبا . جئت كى آخذ زجاجة كوكاكولا .

(ينهض إبراهيم على قدميه ويرفع يديه المنقطة بالدم)

سوف آخذها .

(يخرج زجاجة من الثلاجة ، ويجد فتاحة ويفتح الزجاجة)

إبراهيم : إنك تبحث عن الجائزة .

(يخلع كريس السدادة الموجودة داخل غطاء الزجاجة وينظر تحتها)

كريس : لا يوجد شىء .

(يسب إبراهيم بصوت عربى منخفض ، ويجلس كريس ، ويشرب جرعة من زجاجة الكوكاكولا . وأثناء ذلك تخرج والدته لفة من الصوف الأحمر الوردى فى حجرة الجلوس)

الوالدة : أتبالى ؟

(يضع والد كريس جريدتهُ جانباً . ويفرد ذراعيه للصوف التى تبدأ الأم فى لفه على شكل كرة . وينتف إبراهيم سمانة أخرى ، ويتنهد تنهيدة شديدة)

إبراهيم : إن قصة السمان محزنة جداً .

كريس : لماذا ؟

إبراهيم : يأتى على طول الطريق من أوربا وإيطاليا . فى مكان ما عبر البحر ، طريق طويل جداً على طائر صغير . كل هذا الطريق إلى الإسكندرية ؛ ولذا يكون متعباً جدا ، ويحلق منخفضا ، ولذا نضع الشباك ، وتراهم على الشواطئ فى ذلك الوقت من السنة . ويدخل الشبكة ، ويرفرف ، ويقع على الأرض ، ويمسكونه ويضعونه فى الشنطة .

كريس : هذا شىء قاسٍ . يجب أن يقبضوا عليهم قبل أن يبدأوا فى اصطياده .

إبراهيم : مثل الحياة رحلة طويلة . صراع كبير . وبعد ذلك سقوط . يمسكونه أولاً ، وبعد ذلك يأكله الإيطاليون .

كريس : هذا ليس عدلا ، لاأعتقد أننا ينبغى أن نأكله .

إبراهيم : نعم ولكن طعمه لذيذ (يرفع إلى أعلى سمانه تم تنظيفها للحظة ، معبراً عن إعجابه بها . وبعد ذلك يتغير تعبير وجهه ويلتفت إلى كريس) والدتك أخبرتنى عن هؤلاء الأولاد فى المدرسة .

كريس : هذا غير مهم .

إبراهيم : نعم ، ماذا تعنى ، بصقوا عليك ورجلك مربوطة .

كريس : إنها على ما يرام .

إبراهيم : أنت بخير ، هذا هو المهم . لا تقترب منهم. فَلكَ كرامتك ، لا تنتقم ، فهذا عين العقل . لم يكن هذا موجهاً ضدك ، لا تعتبر ذلك شيئاً شخصياً .

كريس : لقد فكرت فى ذلك .

إبراهيم : سوف أذهب معك أنت وسيدتى إلى المدرسة غدا .

كريس : إنك لست مضطرا إلى ذلك .

إبراهيم : سأكون هادئاً جداً ، لن أفعل شيئا . كم كان عددهم ؟

كريس : أربعة .

إبراهيم : أرنِى الأربعة بهدوء تام وأنا سوف أهشم رؤوسهم .

كريس : لا ، هذا ...

إبراهيم : إنك تعلم أننى عندى عشرة أطفال ولاأقسو عليهم أبداً .

ولكن هؤلاء ...

(مرة أخرى سلسلة متتالية من القسمات العربية . فى حجرة الجلـوس ، انتهت والدة كريس من لف كرة الصوف ، والآن تبدأ فى نظم الإبرة)

الوالد : لقد اتصل بى آلبرت فى المكتب وعزمنا على الغذاء يوم الأحد .

الوالدة : أوه ، يا عزيزى .

(يشعل والد كريس سيجارة ويخرج إلى الشرفة لكى ينظر إلى السماء فى المساء)

كريس : ركبتى سليمة بصدق .

إبراهيم : لا ، سوف أهشم رؤوسهم .

المشـــــــــــــــهد الخامس

(يقف كريس وسط الضوء)

كريستوفر : لم يفعل بالطبع ، وعلى أية حال وبعد أسابيع قليلة تحققت نبوءة أبى ، وقامت وزارة الخارجية بإخطار الرعايا البريطانيين الذين لـم يكـن هناك حاجة ملحة لوجودهم بمصر بترك البلاد . ولذا عدت أنا ووالدتى إلى انجلترا على متن سفينة . وكانت إنجلترا بلداً غريباً كثير الأمطار كما اتضح فى النهاية ، بلداً منغمساً فى شعائر غير مفهومه وتم إرسالى إلـى مدرسـة ابتدائية غير بعيدة عن منزل أجدادى الكائن فى بليمث(Plymouth)[1] وهناك

---

١ - مدينة تقع جنوب غرب إنجلترا.

استمعنا إلى المذياع كثيراً بدلاً من الدروس ، واكتشفت أننـــى متقـــدم مـــن الناحية الأكاديمية عاماً على الأقل وكانت هذه حقيقة أخفيهـــا دون تفكيـــر ، وإكتشفت باختصار أن الأغراب يبدأون فى دوفر .

(يقف كريس الذى يرتدى شورتاً وقميصاً بنصف كم بالقرب من مجموعة من الصبية يلعبون الكوتشينة ، ومن وقت إلى آخر ، ووفقاً لقاعدة ليس من السهل فهمها ، يصيح أحد الصبية صيحة تعبر عن الفوز ويجمع مجموعـــة من أوراق اللعب . يلتفت أحد الأولاد إلى كريس التفاتة بها شىء من الألفة)

إدوارد : لماذا تمتلئ ذراعاك بمثل هذا الشعر الكثيف ؟

كريس : ماذا ؟

ادوارد : ذراعاك مليئتان بالشعر ، أليس كذلك ؟ انظر إلى ذراعيك .

(ينجح فى إثارة إهتمام الصبية الآخرين ، الذين يفحصون ذراعى كريس ، ويطلق ، أحد الصبية صيحة تعبر عن الاشمئزاز)

كريس : أعتقدُ أن ذلك شىء يتعلق بالتعرض كثيراً إلى الشمس .

إدوارد : لدينا شمس هنا .

كريس : نعم ، ولكن .

إدوارد : إن هذا ليس له علاقة بالشمس . ربما يكون السبب أنك فى إفريقيا أو أينما تكون تقضى وقتاً كثيراً فوق الشجر .

(ضحك واستحسان من الصبية الآخرين)

أأنت متأكد أنك انجليزى ؟

كريس : نعم ، بالطبع ، أنا إنجليزى .

إدوارد : فلماذا إذن لا يمكنك شرب الحليب ؟

كريس : إننى لا أحبه ، هذا كل مافى الأمر .

إدوارد : لقد قلت إن هذا كان بناء على نصيحة طبيب . وهذا يعنى أنك لا تستطيع شربه . فكل من هو إنجليزى يستطيع شرب الحليب ، وهذا سبب توفير الحكومة له ، أليس كذلك ؟

كريس : ولكننى إنجليزى .

إدوارد : أنت لست حتى أبيض .

(تختفى الأضواء من على الأولاد ويهز كريس رأسه)

كريستوفر : واستمر ذلك حوالى ثلاثة شهور فقط . وبفضل الله اتجهنا إلى أول مركب موجود ، وكان بالصدفة مركباً مصرياً عتيقاً اسمه النيل .

ورحل المركب من ليفربول وعلى متنة قطار مشحون . وأدركنا إعصار أكتوبر فى المحيط الأطلنطى ، ونهضنا بعد ذلك بثلاثة أيام لنجد الكبينة مغطاة بقدم من الماء ، والقطار مغسولا فوق متن المركب ، إلا أن ذلك لم يؤثر على سعادتى بخروجى من إنجلترا ، وفى هذه المرة عدت إلى مؤسسة أكثر تواضعاً ، وهى مدرسة الصبية البريطانيين فى شارع فاروق الأول . وكان التلميذ الوحيد بها من أسرة ملكية هو ابن زوجْ (Zog) ملك ألبانيا الراحل ، وكان شابا طويلاً طولاً غير عادى وهيئته منفرة . وبالرغم من اسم المدرسة ، فقد كنت أنا التلميذ الإنجليزى الوحيد فى فصل يضم ثلاثين تلميذاً ، وكنت سعيداً جداً هناك . ففى المدرسة ومع أصدقائى الجدد ، وهم أخوان لبنانيان اسمهما عِيدى وفريدى ، وكنت أتحدث إنجليزية ذات لكنة عربية)

المشـــــــــــــــهد السادس

(تضئ الأضواء على المنزل ، ويجلس كريس فى حجرة الجلوس يقرأ ، وتحوك أمه فى الحجرة الإضافية فستاناً على ماكينـــة الحياكـــة . ويكـــوى إبراهيم الملابس فى المطبخ ، مستخدماً ملاءة قديمة فـــى كـــى بنطلـــون . يرتشف من الماء الساخن رشفة من زجاجة الجوردن ، ويبخها بمهارة فائقة على الملاءة ويقوم بكيها . وبعد ذلك يضع كريس كتابـــه ويتهـــادى تجـــاة المطبخ)

كريس : مرحـــــبا .

(يرد إبراهيم التحية ويستمر فى الكى . يأخذ كريس زجاجة كوكاكولا من الثلاجة ويفتحها)

ماذا تعنى كلمة الاستعمارية ؟

إبراهيم : تعنى التحدث إلى أناس غير مرغوب فيهم .

كريس : نعم ولكن ماذا ... ؟

(يتوقف عن الكلام ويخلع السدادة الموجودة داخل غطاء الزجاجة)

انظر ، لقد كسبنا شيئاً ما.

(يضع إبراهيم المكواة وهو مسرور)

إبراهيم : أرنـــــى .

(يحضر ورقة ملونة مغطاة برموز كثيرة ومتنوعـــة وتفـــسيرات باللغـــة العربية ويأخذ غطاء الزجاجة من كريس ، يفحصه ويراجع الورقة)

أليست السيارة الشيفرولية ؟

كريس : مـــاذا ؟

(ينتظر على أحر من الجمر بينما يتحسس إبراهيم الرموز بأصابعه)

إبراهيم : هيه . خمس زجاجات مجانية من الكوكاكولا .

كريس : أوه .

(يفكر إبراهيم لحظة ، وبعد ذلك يضع الورقة . ويأخذ تعبير وجهه شكل الجدية)

إبراهيم : سوف أحصل عليها فى الحال سوف أنادى على عبد اللطيف . أشعر أن هذه المرة سوف تكون السيارة الشيفرولية. كن حذراً ، لا تلمس المكواة .

(يخرج من الباب الخلفى الداخلى المغطى بسلك يسمح بدخول الهواء ويمنع الحشرات من الدخول . ويأخذ الزجاجة معه فوق ويضع طربوشه على رأسه . يبدأ كريس فى صب الكوكاكولا فى الكأس عندما يصل والده من المكتب مرتدياً بدلته الخفيفة ذات اللون الرمادى ويحمل حقيبته . يتوقف الوالد فى الصالة ، ويصفر مرتين ليعلن عن عودته . تنادى والدة كريس من خارج الحجرة الإضافية دون أن تتحرك)

الوالدة : حمداً لله على السلامة .

الوالد : هل كل شىء على ما يرام ؟

الوالدة : نعـــم .

(يدخل والد كريس إلى حجرة الجلوس ، ويخلع معطفه ويجلس فى كرسيه ذى المسندين ويخرج صحيفة من الشنطة . وفى هذه الأثناء يمشى كريس فى الصالة ، ويدخل حجرة الجلوس ليلحق بوالده)

كريس : كسبنا جائزة كوكاكولا .

الوالد : ليست السيارة الشيفرولية على ما أعتقد ؟

كريس : لا ، بل خمس زجاجات أخرى .

الوالد : أوه ، حسنا ، كيف حال المدرسة ؟

كريس : على ما يرام . من المفترض أن أكتب مسرحية فى واجب مادة اللغة الإنجليزية .

الوالد : هذا صعب .

كريس : لم أر مسرحية أبداً فى حياتى ، فما هو شكل المسرحيات ؟

الوالد : حسناً ... مثل أى فيلم ولكن أحداثها تقع فى مكان واحد . وفى الواقع فإن بعض الأفلام مأخوذه عن مسرحيات .

كريس : أى أفلام ؟

الوالد : أوه ، حسناً ، فيلم" باريتس شارع ويمبول"[1] ، لا ، هذا كان قبل ميلادك بوقت قليل . لا أستطيع إستحضار مثال آخر . بوجه عام المسرحيات يتحدثون فيها كثيراً . ويمكنك عادةً أن تفهم من خلال ذلك .

كريس : ولكننا غير مسموح لنا بالكلام .

الوالد : نعم ، حسناً ، هذا صعب .

(صمت . بعد ذلك يفرد جريدته)

على أية حال ، ماذا تود أن تشاهد غدا ؟

كريس : ما هى الأفلام المعروضة ؟

الوالد : حسناً ، تعرض سينما الهمبرا فيلم "**يوليوس قيصر**" . وهذا فيلم مأخوذ عن مسرحية .

كريس : ماذا غير ذلك ؟

الوالد : فيلم "**على ضوء القمر الفضى**" بسينما ريو . وهو بطولة 'جريجورى بيك' و 'افا جاردنر' بسينما ريالتو . أيروق أياً منهما لك ؟

كريس : وماذا تعرض سينما ميترو ؟

الوالد : "**حديقة الشيطان**" بطولة 'جارى كوبر' و'ريتشار ويد مارك' .

---

[1] - فيلم تم إنتاجه عام ١٩٣٤ يدور حول قصة الحب الرومانسية الواقعية بين الشاعرة الإنجليزية بارت والشاعر الإنجليزى روبرت برونتج.

كريس : يبدو هذا رائعا .

الوالد : اذهب وأعرف رأى أمك .

(يترك كريس الحجرة ويطوى والده صفحة الجريدة وينشغل بحل الكلمات المتقاطعة)

يصل كريس إلى الحجرة الإضافية .

كريس : ماما .

الوالدة : نعم .

كريس : أتودين مشاهدة فيلم "حديقة الشيطان" بطولة 'جارى كوبر' ؟

الوالدة : هذا ليس فيلما غربيا آخر ، أليس كذلك ؟ لقد رأينا واحداً الأسبوع الماضى .

كريس : فيلم " **شين** "[1] ؟ لقد أُعجبتِ به .

الوالدة : كانت المناظر رائعة . ولكن كانت نهايته سخيفة جداً .

(يقف كريس لحظة ، منتظراً . وأخيراً ترفع الأم رأسها)

سوف نشاهد أى فيلم تحبه يا عزيزى ، أى فيلم تختاره .

كريس : شـــــكراً .

(وفى أثناء هذا الحديث يعود إبراهيم إلـــى المطـــبخ بجلبـــة أصـــوات الزجاجات ، ويخرج خمس زجاجات من الكوكـــاكولا مـــن شـــنطة ورق ، ويرصهم على منضدته ، فى حين يصل كريس إلـــى الحجـــرة ، و ينتهـــى إبراهيم من وضع الزجاجات وحينئذ يتأمل صف الزجاجـــات بـــشىء مـــن الجدية)

إبراهيم : أشعر أن جائزة الشيفروليه فى واحدة منها .

كريس : هل لى أن أفتحها ؟

---

[1] - فيلم غربى تم عرضه عام ١٩٥٣ تقوم أحداثه على رواية بنفس الإسم كتبها المؤلف الأمريكى جاك ورنر سكيفر المشهور فى عام ١٩٤٩.

(يهز إبراهيم رأسه ويضع إصبعه خلسة على شفتيه . ويبدأ كريس فى فتح الزجاجات مناولاً الأغطية إلى إبراهيم الذى أخذ يخدشها . ومع ذلك ، فمن الواضح من تعبير وجهه وتيار اللعنات التى تصدر منه باللغة العربية أنها خالية من أى شىء . يسود الصمت ثم يتنهد إبراهيم ويتأمل صف الزجاجات)

إبراهيم : أنت ظمآن ؟

كريس : سوف أحاول .

(يجلس كريس ، ويملأ زجاجته ، ويستأنف إبراهيم كيه. تمر لحظة)

ربما يمكنك ان تأخذ بعضها إلى المنزل .

(يفكر إبراهيم فى هذا)

إبراهيم : لا .

كريس : هل تعيش زوجتاكَ معاً فى نفس المكان ؟

إبراهيم : لا ، نعم كانتا تعيشان معاً فى يوم من الأيام ، ولكنهما لا تعيشانَ معاً الآن . فهما ليستاعلى علاقة طيبة منذ الحرب .

كريس : ولم لا ؟

إبراهيم : الزوجة الأولى مؤيدة جداً للبريطانيين ، وهى دائما سعيدة ، لأننى أعمل هنا ، وتعتقد أن ملكتكم الجديدة رائعة جداً ، كما أنها تشترى كل المجلات ، ولكن الزوجة الثانية تحب موسولينى . فهى تشاهده فى السينما ، وتعتقد أنه جميل جداً ، وتسمع اسمه خطأ فهى تسميه موسى النيلى ، أى موسى النيل ، وتعتقد أنه مقدر له أن يحكم مصر ولذا فإن عندى حربا فى المنزل .

كريس : هل كانت تحب هتلر أيضاً ؟

إبراهيم : ليس كثيراً جداً ، ولكن نظراً لأنه كان صديقاً لموسولينى ، فإنها بالطبع تحبه بعض الشىء .

كريس : وأيهما تؤيد ؟

إبراهيم : أنا مؤيد محايد جداً للبريطان ، ولهذا أنا حزين عليها ، وأغفر لها نازيتها ، لأنها لطيفة وعطوفة جدا .

(صمت . يكوى إبراهيم بسرعة وكفاءة ، وتترك والدة كريس الحجرة الإضافية وتمر من الصالة ، وهى تحمل فستانها ، وتأخذه معها فوق ، وتخرج من السلم العلوى للمبنى ، ويصب كريس لنفسه بعضاً من الكوكاكولا)

كريس : إننى مضطر إلى كتابة مسرحية للمدرسة .

إبراهيم : هذا جيد .

كريس : ولكننى لم أر أبداً مسرحية فى حياتى .

إبراهيم : إنها عبارة عن قصة فقط .

كريس : إن التفكير فى القصص صعب .

إبراهيم : حسناً ، عندك ثلاثة رجال عثروا على كنز فى الصحراء ، بعض الذهب ، أو كثير من الذهب ، وهم لا يثقون فى بعضهم بعضاً ويقول واحد منهم ...

كريس : ليس مسموحاً بالكلام .

إبراهيم : حسنا ، إنهم ليسوا على وفاق ولا يثقون ببعض . أحدهم يدس السُم فى الفول ، والآخر يفتح فتحة فى زجاجة الماء ، والثالث يفكر فى الانتظار حتى ينام الاثنان الآخران . ولذا ينتظر (يضع إصبعاً على حنجرته) ولكن الثالث يستيقظ : وبعد ذلك لابد أن يراقب الإثنان بعضهم بعضا كل دقيقة ، ويستمران فى السير عبر الصحراء يوماً بعد يوم . كم طول هذه المسرحية ؟

كريس : خمس دقائق كما قال .

إبراهيم : ثم فجأة يأكل أحدهم الفول ويبقى الثالث وحيداً ، ومعه كل الذهب .

كريس : أتلك هى النهاية ؟

إبراهيم : لا ، لا . لأنه لابد و أن يعاقبه الله ، ولذا ... دعنى أفكر ... لذا ... تلدغه حية ! هذا صحيح ، يموت من ألم مبرح وهذه هى النهاية .

كريس : ولكن كيف أصنع حية ؟

إبراهيم : الحية ؟ سوف اصنع لك حية . سوف ... أصنع حية . من العجين .

(صمت ، بينما يفكر كريس فى هذه اللحظة)

كريس : حسناً أشكرك .

إبراهيم : جيد ، أليس كذلك ؟

(تظهر والدة كريس على السلم و تبدأ فى النزول . يفرد إبراهيم لباساً آخر، وزوج شورتات على منضدة المكواة ، ويرتشف جرعة من الماء ، ويستعد لبخها عندما تصل والدة كريس إلى المطبخ . يبلع الماء فجأة ، ويبدو مرتبكا هو وكريس)

الوالدة : لو سمحت يا إبراهيم بعد أن تنتهى من ذلك ، تعال إلى الحجرة الإضافية وسوف تعد قائمة .

إبراهيم : حاضر ، يا سيدتى .

(يذهب إلى الحنفية ، و يصب بعضاً من الماء على أصابعه ويرش على قطعة القماش المفرودة على الشورتات)

الوالدة : أنا سعيدة أنك ترش الماء بهذه الطريقة . لقد رأيت المكوجى فى المحل الذى يقع فى آخر الشارع وهو يبصق على الملابس .

إبراهيم : لا .

الوالدة : إننى رأيته .

إبراهيم : هذا مقزز ، يا سيدتى .

(تلاحظ والدة كريس فجأة كل زجاجات الكوكاكولا المفتوحة)

الوالدة : ما كل هذا ؟ لماذا كل هذه الزجاجات مفتوحة ؟

كريس : لقد كسبناها . وأردنا أن نعرف إذا كنا قد كسبنا شيئا آخر .

الوالدة : هذا إهدار للمال .

كريس : لا . لأنها بالمجان .

الوالدة : حسناً ، إذاً ، هذا ضياع للكوكاكولا .

كريس : سوف أشربها جميعا .

الوالدة : لن تفعل . سوف تمرض .

(سكون . تترك الحجرة وهى تتنهد وتهز رأسها . يأخذ إبراهيم ملء فمه ماء ، ويبخه على الملابس التى يقوم بكيها وهو شارد الذهن . يضحك كريس . وفى غضون ذلك يضع والده جريدته جانباً ويُراجع ساعته ويتجه إلى المطبخ الذى وصله الآن)

الوالد : سنبدأ فى خلال دقيقة .

كريس : هل الأمر كذلك ؟

الوالد : هل ستأتى ؟ (يبتسم إلى إبراهيم) أحضر صودا الويسكى عندما تكون مستعداً يا إبراهيم .

إبراهيم : سوف أعد القائمة أولاً مع سيدتى .

الوالد : ليس هناك ما يدعو إلى العجلة .

(يمر من آخر الصالة و يتبعه كريس . عندما يدخل حجرة الجلوس يفتح المذياع . ينتهى إبراهيم من كى الشورتات ، ويحضر كراسة ، وعقب قلم رصاص ، ويرتدى طربوشة مرة ثانية ، ويُبلغ والدة كريس الموجودة فى الحجرة الخالية حيث تبدأ إملاءه قائمة التسويق بصوت منخفض . يبل إبراهيم سن القلم بفمه ، ويبدأ فى الكتابة . أثناء ذلك يتحدث كريس إلى والده)

كريس : ما هى الاستعمارية ، يا أبى ؟

الوالد : أجل ... إنها تتعلق بالمستعمرات . بعض البلدان ، مثل بريطانيا ، تتحكم فى بلدان أخرى لأسباب تاريخية كثيرة و متنوعة. والاستعمارية ... ليست كلمة مهذبة على وجه الخصوص لوصف تلك المسألة و هذا ليس إنصافاً فى الواقع لأننا ... أوه ، لقد فتح المذياع .

(يسخن المذياع و يبدأ كريس ووالده فى الإنصات إلى مقدمة رحلة إلى الفضاء بينما يتوارى الضوء)

المشـــــــــــــــهد السابع

(فى الوقت الذى يعطى فيه المذياع وصفا تاريخيا ومستقبليا للزمان (التاسع عشر من أكتوبر عام ١٩٦٥) ، يبدأ الصوت يضعف ويعزل الضوء كريستوفر ويضرب فى نظارته)

كريستوفر : كان والدايّ يعرفان قلة قليلة من الناس خارج الشركة ، وكان من بينهم شخصية منحوسة وغامضة يدعى صاحبها آلبرت إثريدج . وكان آلبرت إثريدج معرفة واحد من أخوات والدتى ، وكان يعمل فى شركة الخطوط الجوية البريطانية عبر البحار ، وكان متزوجاً من سيدة لبنانية اسمها'فاطمة' . وكان طهى 'فاطمة' مليئا بالتوابل والثوم ، وكان هذا يسبب ألماً شديداً لمعدة أبى . وكان لدى آلبرت و'فاطمة' ولد فى مثل سنى يدعى بول . وكان بول طفلاً عصبياً و انطوائياً وليست له أى اهتمامات واضحة . ومن حين إلى آخر كنا نشعر بأننا ملزمون برد حسن ضيافتهم ، ودائماً بعد الغذاء كانت تأتى اللحظة التى كنت أخافها .

(تتسلط الأضواء على حجرة السفرة فى الوقت الذى يخلع فيه كريستوفر نظارته كى يلعب دور والده . قد تم إزالة معظم الغذاء ، ويجلس آلبرت إثريدج أمام كوب من البراندى ينم عن الكرم ، ويبدو مبالغا فى مظهره ، بصورة منفرة فشعره مدهون بريل كريم ، ويرتدى ستره رياضية فضفاضة . ويجلسا كل من كريس وبول ، ذلك الطفل ذو اللون الشاحب والعينان الواسعتان المخيفتان ، على منضدة . يحضر والد كريس زجاجة البراندى ، ليصب فى كوب آلبرت الممتلئ من قبل ، حتى يملأه عن آخره . وفى أثناء ذلك يغسل إبراهيم يده فى المطبخ)

الوالد : هل لنا أن نذهب ونلحق بالسيدات فى الحديقة ، يا آلبرت ؟

آلبرت : بكل سرور .

(يرفع نفسه من على المقعد بشىء من الصعوبة ويظهر عصا يتوكأ عليها كانت معلقة على ظهر الكرسى من خلفه . و يتضح أخيراً أنه أعرج عندما يمسك بالعصا ويبدأ فى المشى تجاه الباب)

الوالد : أنا متأكد يا أولاد أنكم سوف تبحثون عن مكان تلعبون فيه . العبوا فى حجرتك يا كريس .

كريس : حسناً ...

آلبرت : كن مؤدبا يا بول ، أتسمعنى ؟

بول : نعم ، يا أبى .

(يقود والد كريستوفر آلبرت خارج الحجرة من خلال الصالة ، ويدخل حجرة الجلوس ، ثم يتوقف)

الوالد : أترك الجاكيت الخاص بك يا آلبرت .

آلبرت : اعتقد أننى سوف اتركه .

(يضع البراندى والعصا ويخلع سترته بصعوبة)

الوالد : ورباط عنقك إن أردت .

آلبرت : لا ، أفضل الاستمرار فى ارتدائه .

(فى أثناء ذلك ينظرا كريس وبول إلى بعضهم بعضا من فوق المنـــضدة بعدم ارتياح . وفى النهاية ، وبعد أن يمر والد كريس وآلبرت من الشرفة ، ويخرجا ، يكسر كريس حاجز الصمت)

كريس : هل شاهدت فيلم " **الغابة الجرداء** " .

بول : لا .

كريس : هل شاهدت فيلم " **كالاميتى جين** " .[1]

بول : لا .

كريس : حسناً ، هل شاهدت " **شيمة الوثنى** " بطولة 'جاك بلانس' .

بول : لا ، والدى لا يسمح لى بالذهاب إلى السينما .

كريس : أوه ، لقد فهمت ، أنا آسف .

(يدخل إبراهيم يجر قدميه إلى الحجرة ، ويزيل أكـــواب القهـــوة القليلـــة المتبقية ، الخ)

إبراهيم : أتود أن تشرب مشروباً ؟

كريس : لا ، شكراً يا إبراهيم .

(يلتفت إبراهيم إلى بول)

إبراهيم : ربما تود بعضاً من الكوكاكولا .

بول : لا ، أنا شاكر جداً .

إبراهيم : إنك محظوظ لأنك صديق كريس ، فهو سيصبح فى يوم من الأيام رئيسا لوزراء انجلترا .

كريس : إبراهيم من فضلك .

إبراهيم : حقيقى ما أقوله، مثل السيد 'ونسطون' .

---

١ - فيلم تم عرضه عام ١٩٥٣ وتدور احداثه حول حياة 'كلاميتى چين' بطلة الغرب الأمريكى القديم والقصة الغرامية المزعومة بينها وبين ويلد بيل هيكوك.

(يضع إبراهيم كل شيء على الصنية ويرجع للمطبخ . وعندما يختفى ينظر كريس إلى بول نظرة تنم عن الاعتذار)

كريس : إنه يقول هذا دائما .

(ويبدو أن بول يرى أنه ليس هناك رد على ذلك)

هل إصابة والدك إصابة حرب ؟

بول : لا ، حادثة موتوسيكل .

كريس : أتعرف الكلمة الفرنسية لكلمة إصابة .

بول : أنا لا أعرف اللغة الفرنسية .

كريس : إنها 'بليسير' . لم أكن أعرف ولذلك ترجمت الجملة خطأ 'نعمة الجندى تنزف ببطء.'

(لم يحظ هذا أيضاً باهتمام بول . ينهض كريس على قدميه محدثاً صوتاً)

هل نذهب ونلعب ؟

بول : إن أردت .

(ينهض ويتبع كريس إلى الصالة ، وهنا يتوقف كريس لحظة ، وهو ينظر إلى السلم)

كريس : يمكننى صعود الجزء الخارجى .

بول : ماذا تقصد ؟

كريس : أتستطيع الصعود على الجزء الخارجى من الدرابزين .

(ينظر بول أعلى السلم ، ويكشر ويلاحظ أن الدرابزين ينحنى ، ويستمر على طول السلم حتى الحائط البعيد ، ويشير إليه)

بول : كيف تستطيع أن تصل إلى ذلك ؟

كريس : أنا لا أستطيع . أنا أهبط فقط مرة ثانية ، وأطلع بطريقة مناسبة .

بول : لا أفهم الغرض من ذلك .

كريس : إنها فقط للمتعة ، هذا كل ما فى الأمر . سوف أشرح لك .

(يذهب ويقف على جانبى الدرابزين ويصعد خطوات قليلة على الجـزء الخارجى . إن حافة الدرابزين واسعة بدرجة تجعل الصعود آمناً أماناً تاماً ، ولكنها ليست واسعة بدرجة تجعل الصعود ممكناً فيما عدا الجانبين ، ومـع تحريك أقدام المرء خطوة بخطوة و بحرص بين الدرابزين)

أتريد أن تحاول ؟

(يتردد بول ، فمن الواضح أنه لا يريد المحاولة ، ولكنه يجاوب بـسرعة بقدر المستطاع)

بول : نعم ، حسـنـاً .

(يبدأ فى اتباع كريس بحذر ، وهو مندهش ، ويجد أن العملية أسهل بكثير مما كان يخاف ، ولكن توتره واضح من أسنانه المقبوضه . يدعـه كـريس يلحق به ، بعد ذلك يسرع بعض الشىء حتى يستطيع بول المواصلة ، وفى منتصف الطريق إلى أعلى ، وبعد تخطيه الملف الأول يلتفت إلى بول)

كريس : هل كل شىء على ما يرام ؟

بول : نعم ، أنا على ما يرام .

(يستمران فى الصعود إلى أعلى ، ويتحرك كريس بعيداً علـى منبـسط الدرج حتى يفسح مكانا لبول حول الملف ، ويتوقفان هناك لحظـة ، وهمـا يمسكان بإحكام)

كريس : ها نحن قد وصلنا . فكرة جيدة ، أليست كذلك ؟

(لا يجاوب بول ، الذى يغمض عينيه ، ويضم رأسه بين أكتافه ، وينظر كريس إليه بشىء من القلق)

ماذا حدث ، أأنت على ما يرام .

(يطلق بول تنهيدة تنم عن الغضب)

ماذا حدث ، عليك فقط أن تهبط الآن .

بول : إننى لا أستطيع .

كريس : يمكنك ذلك ، إن النزول أسهل .

بول : لا أستطيع التقدم .

(يتنفس بصوت مسموع بعض الشيء ، بينما يستعرض كريس الموقف)

كريس : حسناً .

(يبذل ما فى وسعه لكى يمتثل لما يقول كريس ، ولكن بمجرد أن يضع كريس يده على كتفه ، ويستعد للدوران من حوله ، يتشنج بول) لا .

كريس : ماذا ؟

بول : هذه ليست فكرة جيدة ، فإذا مررت من خلفى ، لن أستطيع تتبعك إلى أسفل .

كريس : ولما لا ؟

بول : إننى لا أستطيع التحرك .

(صمت . يفكر كريس ، ويجفف إبراهيم يده أسفل السلالم ويخرج من الباب المغطى بسلك)

يتمخط بمهارة معهودة بين إبهامه والسبابة ، ويتحرك نحو مسكنه الذى يقع عند نهاية الحديقة .

كريس : حسناً ، لو تركتنى أمر من خلفك فمن الممكن أن أنزل وأحضر شخصاً ما ليساعدنا .

بول : من ؟

كريس : إبراهيم .

بول : ولكن هذا معناه أنك سوف تتركنى وحدى .

كريس : لمدة دقيقة فقط ، سوف أعود فى الحال .

بول : لو تركتنى وحدى، سوف أقع .

كريس : لا ، لن تقع .

بول : سوف أقع ، سوف أقع .

(صمت)

كريس : أنا واثق أنك سوف تكون قادراً على تتبعى إلى أسفل .

بول : لا .

(يوجد بصوته هيستريا واضحة الآن . ويفكر كريس قليلاً . و بعد ذلك ينادى بتردد)

كريس : يا إبراهيم .

(ولكن إبراهيم قد ذهب . وينتظر كريس وبعد ذلك ينادى بصوت أعلى) يا إبراهيم .

(ليس هناك من ردٍ . يلتفت كريس إلى بول مرة ثانية)

حسناً ، إنك لابد أن تساعدنى فنحن مضطرون إلى الصياح بصوت عالٍ بقدر ما نستطيع . أمستعد أنت؟ دعنا نبدأ .

(يبدأ فى المناداة على إبراهيم بأعلى صوته وبعد ذلك بلحظة يلحق به بول . ينادون لبرهة بلا جدوى وحينئذ يخيم صمت مميت)

ربما يمكنهم سماعنا ويظنون أننا ننادى فقط على إبراهيم . ربما من الأفضل أن نقول شيئاً ما آخر .

بول : ما هو ؟

كريس : النجدة .

(وهكذا يبدأون فى الصياح مرة ثانية ويصيحون هذه المرة طلباً للنجدة بأعلى صوت عندهم . ومرة ثانية لا يتلقون إجابة ، ومرة ثانية يصمتون)

ألا تدعنى أذهب وأحضر شخصاً ما ؟

بول : لا ، لا ، لا .

(يسود الصمت مرة ثانية . وأثناء ذلك يظهر آلبرت فى الشرفة ويدخل حجرة الجلوس وهو يعرج . يحضر الغليون وبعضاً من التبغ من جيب سترته ، وهو على وشك أن يبدأ فى حشو الغليون بالدخان ، عندما يبدأ

الأولاد فى الصياح مرة ثانية ، ويصيحون " النجدة " فالحياة غالية . يضع آلبرت غليونه ، ويمشى وهو يعرج إلى الصالة ، ويقف هناك لحظة دون أن يرى الأولاد ، ثم يصدم الأولاد بمقاطعتهم مقاطعة مفاجئة وحادة .

آلبرت : ماذا يحدث ؟

(صمت ، وحينئذ يصدر صوت نحيب قصير ومروع من بول)

كريس : أنا آسف ، هل يضايقك مساعدتنا ؟ يبدو أننا فى ورطة .

آلبرت : هكذا انتم بالفعل .

(يصعد السلالم ، ويقتصر على ملحوظة واحدة وهو فى طريقة إلى أعلى) إنكم لا يمكن أن تُتركوا وشانكم لمدة خمس دقائق .

(يصل إلى منبسط السلم ويقف للحظة أمام بول ، متنظراً الصبى الذى يرفع رأسه ببطء)

اعتقد أن تلك فعلتك .

كريس : لا ، إنها كانت فكرتى . فأنا أفعل ذلك طوال الوقت .

(ينظر آلبرت إلى كريس لحظة ، وبعد ذلك يمد يده بارتباك ، ويرفع كريس من فوق الدرابزين ، ويضعه أسفل منبسط السلم)

آلبرت : وما الذى منعك من الهبوط كما صعدت ؟

كريس : بول لم يرد أن يتقدم أعتقد أنه خاف .

آلبرت : هذا صحيح ، فهو جبان مثل أمه .

(يستمر فى النظر إلى بول دون أى محاولة لمساعدته)

أجل ، يا سيدى ، أظن أنك تعرف معنى ذلك .

(يطلق بول صوتاً مخنوقاً . ثم يحاول مرة ثانية وينجح فى الكلام هذه المرة)

بول : نعم ، يا أبى .

(يرفعه آلبرت أخيراً من فوق الدرابزين . وبعد ذلك ينظر من حوله لمدة دقيقة قبل أن يشير إلى الحجرة (خارج خشبة المسرح) التى تقع فى نهاية منبسط السلم)

آلبرت : يمكنك أن تذهب وتعد نفسك بالداخل هناك .

بول : من فضلك ...

آلبرت : افعل كما أقول .

(يُنكس بول رأسه ، وينزل السلم ويخرج . ويعطى آلبرت ظهره إلى كريس وعيناه تبرقان ورأسه فى اتجاه واحد . وأسفل ، يعود إبراهيم وجريدته العربية ملفوفة تحت ذراعه وفى النهاية يتكلم آلبرت)

إننى لا أحب أن أفعل ذلك ولكن هذه هى الطريقة الوحيدة .

(يترك ، متوكأ على عصاه . يلى ذلك صمت رهيب . يكسر هذا الصمت أصوات ضرب ، وأصوات هستيرية صادرة عن آلبرت ، وأصوات أنين مبرح صادرة عن بول . يبدو كريس غير قادر على الحركة ، ينظر بعيداً وبعد ذلك ينظر للخلف ، ويرفع إبراهيم الموجود أسفل السلالم عينيه من على جريدته ، و يقترب ، ويقف فى مدخل المطبخ لحظة ، وبعد ذلك يهز رأسه ، ويعود إلى مقعده . ويدخل كريستوفر إلى الصالة)

كريستوفر : نظرت بعيداً ، وبعد ذلك نظرت إلى الخلف ، واستطعت رؤيتهم من خلال الباب المفتوح ، وشعرت بالذنب . فعلى أية حال كانت هذه غلطتى . ولكن كان هناك شىء ما آخر .

(يبدأ النور يتوارى ، فى حين يتحول بكاء بول فى النهاية إلى صمت)

نعم ، لا محالة ، فمن الواضح أننى ولدت كى أكون كاتبا .

(تنطفئ أنوار خشبة المسرح)

الفصـــــل الثانى

المشـــــــــــــهد الثامن

(يسطع الضوء على كريستوفر)

كريستوفر : في عام ٣٣١ قبل الميلاد أمر الاسكندر الأكبر بإقامة مدينة الإسكندرية ، على قطعة من الأرض هلالية الشكل ، مفتوحة مثل جُرح على البحر. وبعد ثمانى سنوات عادوا به فى تابوت زجاجى ليلقى آخر نظرة على المدينة التى أخرجها للوجود . وعلـــى مـــدار القـــرنين التـــاليين أصـــبحت الإسكندرية فى ظل حكم الأسرة البطلميه المالكة ، والمتهمة بسفاح المحارم، مركز إشعاع فكرى للعالم، وصارت مكتبة الإسكندرية العظيمة أحد عجائب الدنيا السبع بالإضافة لكونها منارة الفراعنة، فهنا وضع إقليـــدس(Euclid)[١] نظريته فى الهندسة وطرح إراتستونيز(Eratosthenes)[٢] فرضه القائل بان الأرض كروية ، وقدر محيطها الداخلي بحوالى ٥٠ ميل ، بينمـــا افتـــرض زميله أريستاركس(Aristarchus)[٣] فرضه القائل بأنها تدور حول الشمس ، كما مكن أول تشريح منظم للجثث أهالى الإسكندرية من التوصل إلى أن الدم

١- عالم رياضيات يونانى يُشار إليه غالباً بأنه مؤسس علم الرياضيات ويعرف أيضاً بإقليدس الإسكندرية نظراً لنشاطه فى الإسكندرية أثناء فترة حكم بطليموس الأول .

٢- رياضى وفلكى وجغرافى وشاعر يونانى قاس محيط الأرض بدقة متناهية وذلك من خلال تحديد الفرق فى خط العرض تحديداً فلكياً بين مدينتى أسوان والإسكندرية .

٣- فلكى يونانى وهو أول من أكد أن الأرض تدور حول الشمس .

يدوردورته فى الجسم ، وأن المخ هو مركز الذكاء ، كما تم تجميع أول كتاب فى قواعد اللغة .

وقبل مضى وقت طويل ، نُسى معظم هذا مرة ثانية .

(يُسمع صوتٍ غريب يحلق فى السماء مثل دوى موسيقى رائعة ، ويرفع كريستوفر رأسة منتظراً انقضاءه)

هناك أسطورة تقول إن مارك انطونيو قد سمع قبل موته ، بوقت قصير ، دوى موسيقى رائعة تحلق فى السماء ، وكان هذا الدوى هو صوت الإله هرقْل ، وهو يتخلى عنه لقدره . وفى قصيدة مشهورة يغير قسطنطين كڤافى ــ الذى كتب باللغة اليونانية والذى قضى حياته فى مدينة الإسكندرية ــ الأسطورة كى تكون الإسكندرية نفسها هى التى تودع انطونيو . وفى ظل هذه الظروف ينصح الشاعر بالرواقية[1] والعرفان بالجميل ، ولاينصح بالجبن ، أو الشعور بالذنب وخداع الذات ، لأنه عاجلاً أم آجلاً لابد وأن تفقدوا جميعا إسكندريتكم .

(يبدو أنه على وشك الاستمرار فى الحديث عندما يقاطعه الجمهور فجأة)

صوت : اسمع ، إننى أسدد الضرائب ، ما هذا ؟ إن هذا هو رأيى المُتروى ...

(وبينما يحدق كريس ، وهو مرتبك ، فى المدرجات المظلمة ، يقاطع الصوت صوتان آخران أيضاً فى المدرجات)

صوت ثاني : إخرس .

صوت ثالث : أخرجوه من هنا ، إنه سكران !

(ينهضون ، ويقتربون من الرجل الأول ، ويبدأون فى دفعه إلى الخارج ، ويتضح فى النهاية أن الثلاثة مصريون صغار السن ذوو أجسام ضخمة .

---

١ ـ مذهب فلسفى أسسه زينون حوالى عام ٣٠٠ ق.م. يقول أن الرجل الحكيم يجب أن يتحرر من الإنفعال ولايتأثر بالفرح أو الترح وأن يخضع من غير تذمر لحكم الضرورة القاهرة .

يدق ناقوس ويختفى كريس وسط الهرْج ، ويحل محله مصرى آخر قوى البنيان ، يرتدى معطفاً أسوداً حتى ركبتيه ، ورباط عنق أبيض يتدلى . وهذا الرجل هو الدكتور توماس استوكمان فى مسرحية " **عدو الشعب** ")

استوكمان : لقد كنت ، ومازلت ، أحب مدينتى التى ولدت فيها حباً يشعر به كل إنسان تجاه موطن طفولته. لقد رحلت عندما كنت طفلاً . إن المنفى و الشوق والحنين يلقون بنوعٍ من التلهف على المكان وسكانه .

(تصفيق وهمهمة يدلان على الاستحسان من قبل المتخفيين بين المستمعين) وعندما سمحت الظروف لى أخيراً بالعودة إلى الوطن ، بدا لى ، يا سادة ، أن كل رغباتى قد تحققت فيماعدا رغبة واحدة ، وهى رغبتى التواقة التى لا تتزعزع تجاه خدمة مجتمعى ، و لكنه بالأمس زالت الغشاوة عن عينى . فأول شىء رأيته هو الغباء المستحكم للسلطات ...

(يدق ناقوس . هناك اضطراب فى المنزل ، ولكن استوكمان يستمر فى الحديث)

لا يمكننى تحمل القادة ، لقد رأيتهم كثيرا فى حياتى ، ولدى فى الواقع مثال واضح عن شخص أمامى كل يوم – إنه أخى 'بيتر' ...

(يعود السكران ، ويقاطع الحديث مرة ثانية)

السكران : هل تتحدث عنى ؟ إسمى 'بيترسن' وأنا ...

صوت ثان : أخرجوه .

صوت ثالث : تعال ، إنك سكران .

(يخرج مرة ثانية)

استوكمان : وفى الواقع فإن قادتنا لا يشكلون الخطر الفعلى على المجتمع ، فهم ليسوا أخطر أعداء الحقيقة والحرية .

صوت ثان : فمن إذاً ؟

صوت ثالث : استمر ، قل لنا .

صوت ثان : أعطنا الأسماء .

استوكمان : سأفعل ، فهذا بالضبط ماكتشفته بالأمس . إن أخطر أعداء الحقيقة والحرية هم الأغلبية . الأغلبية الليبرالية المتضامنة الملعونة .

(يدق الناقوس . ضجيج وصياح بين المستمعين ، ثم تطفئ الأنوار)

المشـــــــــــــــهد التاسع

(تضئ الأضواء ببطء على المنزل . يجلس إبراهيم جلسة مريحة فى المطبخ ، مدخناً واحدة من سجائره ، ومشاهداً كريس وهو يقشر الذرة من على قَوْلَحَة. تجلس والدة كريستوفر فى الحجرة الإضافية ، والنور منطفئ ، بالرغم من أن الظلام قد بدأ فى الحلول)

كريس : هذا رائع ، إنك مسموح لك بأن يكون لديك أُناس ضمن المستمعين إن أردت .

إبراهيم : وبالطبع أنت ليس لديك أُناس ضمن المستمعين ، ما هو الهدف من كتابة المسرحية ؟

كريس : لا ، أقصد أن تضع أُناساً بين المستمعين يكونون جزءاً من المسرحية . فهذا الصبى الذى كان يجلس بجانبى بدأ يصيح فجأة ، وحاولت إسكاته ، ولكنه كان من المفترض أن يقاطع الحديث .

إبراهيم : وكيف تعرف ذلك ؟

كريس : لأن تلك كانت القصة . والقصة هى أن الدكتور كان يحاول إلقاء خطاب ، ولكنهم لم يدعوه يختمه .

إبراهيم : أهذا لأنه كان عدو الشعب ؟

كريس : هذا صحيح .

إبراهيم : ما هى نهاية القصة ، هل يقتلونه رمياً بالرصاص ؟

كريس : إنهم يكسرون شبابيك منزله ، ويفقد وظيفته ، وتفقد إبنته وظيفتها، ويفقد كل أصدقائه وظائفهم ، ويطردونه من المنزل ، ويأخذون أمواله ، ويطردون أبناءه من المدرسة ، وفى النهاية تكون حالته النفسية جيدة بالفعل.

(يفكر إبراهيم في هذا ، مُتجهماً)

إبراهيم : لماذا ؟

كريس : لأنه قد قرر التصدى لهم .

إبراهيم : لذا تحب المسرح ؟

كريس : إنه رائع .

(لقد انتهى كريس من تقشير الذرة ، والآن يجلس بينما يطفئ إبراهيم عقب سيجارته ، ويملأ قدراً طويلا بالذرة ، ويضعه على النار ، ليغلى ، ويستمر فى إعداد العشاء الذى يتكون الليلة من لحم الضأن وبطاطس مهروسة ، وبسلة يبدأ تقشيرها ، الآن ، وهم يتحدثون ، ويدفع بعضا من قرونها نحو كريس ؛ كى يساعده فى تقشيرها ، بالرغم من أن كريس يأكل منها قدر ما يضع فى المصفاة)

لقد بدأت فى كتابة مسرحية أخرى ضمن الواجب المدرسى فى عطلة نهاية هذا الأسبوع .

إبراهيم : لأن مسرحيتنا الأولى نجحت نجاحا باهرا ، أليس كذلك ؟

كريس : لا . كل تلميذ عليه أن يكتب مسرحية .

إبراهيم : ولكنها نجحت نجاحا كبيرا .

كريس : لا ، ليس كذلك بالضبط ، فالحية قد كُسرت .

إبراهيم : إحم .

(يسلك حنجرته بخوف ، وهو مُستاء ؛ وحينئذ ينهض ويمر من الباب ذى الستارة ، ثم يعود . وتصبح نغمة كريس نغمة استرخائية)

كريس : كانت المسرحية جيدة جدا حتى ذلك الحين .

إبراهيم : بالطبع .

كريس : هذه المرة لابد وأن تكون مدتها خمسة عشر دقيقة ، ويمكنهم الكلام .

إبراهيم : حسنا ، نفكر فى قصة .

كريس : لقد وجدت قصة .

(إبراهيم غير مسرور كثيراً ، وينظر إلى كريس ، وهو مرتاب)

إبراهيم : ما هى القصة ؟

كريس : إنها عن رجل يقتل رجلاً عجوزاً ، ثم يقطعه ، و يضعه تحت ألواح الأرضية . وبعد ذلك يصل البوليس ، و يسلم الرجل نفسه ، لأنه متأكد أنه يسمع قلب العجوز وهو ينبض)

(صمت . يبدو إبراهيم مرتبكاً)

إبراهيم : لماذا يقتله ؟

كريس : لا أعرف . لأأعتقد أنه يحب عينيه .

إبراهيم : وأين وجدت هذه القصة ؟

كريس : فى أحد الكتب الموجودة بمكتبتى ، وهو كتاب كتبه 'إدجر الن بو' (Edgar Allen Poe)[1]

إبراهيم : هل هو مشهور ، ألمبو هذا ؟

كريس : أعتقد ذلك .

إبراهيم : نعم ، ولكنها ليست قصة جيدة جداً . تقتل العجوز وتقطعه ، هذا معقول ، وتضعه تحت ألواح الأرضية ، هذا معقول جداً ، ويصل البوليس ، هذا معقول ، لكن لابد أن نعرف السبب، و إلا ، لن يكون لها معنى .

---

١ - كاتب أمريكى معروف كشاعروناقد وهو مشهور أيضا بنظرياته الأدبية وإبتكاره للقصة البوليسية الحديثة .

كريس : هل أنت مضطر دائما لتفسير كل شيء ؟

(ينظر إبراهيم إلى كريس لحظة كما لوكان هذا السؤال مقصوداً به الخداع ، وبعد ذلك يجيب بسخط)

إبراهيم : لماذا تريد أن تغضب المستمع ، فلن يعود ثانية .

كريس : حسنا ، فيما عدا .

إبراهيم : الآن ، لماذا يقتل العجوز ؟ لابد أن يكون هناك سبب لى ... ؟

(ينتظر كريس كى يكمل الجملة ، وعندما يخفق كريس فى هذا ، يستمر إبراهيم فى الكلام مع وجود نبرة غضب فى صوته)

الذهب ! حجرته مليئة بالذهب ، تحت السرير ، فى كل مكان ، وهو لا ينفق أبداً ، فهو ممكن تسميته ...

كريس : بخيلاً .

إبراهيم : نعم ، بخيل ، ولابد أن يكون لديك أُناس آخرون ، وليس فقط الشاب والعجوز والبوليس، لابد أن يكون لديك بعض الزوجات ، بعض الخالات ، وأخ . ويكون الشاب عطوفاً جداً جداً على العجوز حتى يقول العجوز سوف أترك كل الذهب لك . حينئذ يقتله ، ويأخذ كل الذهب ، وبعد ذلك يبدأ فى سماع هذا ... القلب .

كريس : إنى أفهم هذا .

إبراهيم : ما هو اسم القصة ؟ اسم ألمبو ؟

كريس : "القلب الواشى" .[1]

إبراهيم : هذا ليس جيداً . لابد أن يكون لديك اسم مختلف . سمِّها الذهب !

كريس : أتعتقد ذلك ؟

---

١ - قصة قصيرة كتبها إيدجر آلن بو ونشرة لأول مرة عام ١٨٤٣ وتدور أحداثها حول إصرار الراوى ، الذى لم يذكر أسمه فى النص ، على سلامته العقلية بعد قتله لعجوز تشبه عينه عين النسر وتقطيع جسده وإخفائه تحت الواح خشب الأرضية وفى النهاية يكشف الراوى عن شعوره بالذنب فى شكل تخيله أن قلب الرجل مازال ينبض تحت الواح خشب الأرضية .

إبراهيم : إننى لا أحب الأسماء التى بها كلمة قلب .

(يتوقف للحظة ، متأملا ، وحينئذ يستأنف إعداده للعشاء ، ويبدأ فى تقشير البطاطس . فى الحجرة الصغيرة الإضافية ، تضع والدة كريستوفر وجهها بين يديها وتجهش بالبكاء ، وتتشنج بهدوء ، فلا يسمعها من بالمطبخ . يمضغ كريس قرنين آخرين من البسلة ، وفى النهاية يستجمع شجاعته ليسال سؤاله)

كريس : كيف حال قلبك ؟ هل هو على ما يرام ؟

إبراهيم : نعم ، أنا أحسن بكثير الآن لأننى أتعاطى الدواء ، صحيح أن ثمنه غالٍ جدا على ، ولكن والدك يعطنى نقوداً خاصة . أعتقد أنه لولاها لكنت فى عداد الأموات .

(يهز كريس رأسه ، وهو رزين ، ثم يتجه إلى الخزانة ، و يخرج كوباً ، ويأخذ زجاجة الجوردن من الثلاجة ، ويملأ نصف كوب ، ويتجرع جرعة كبيرة ، ويَشْرَق)

ماهى الحكاية ؟

(ينهض على قدميه ، يعجز كريس عن إجابته لحظة ، ويشير ببساطة إلى كوبه . يأخذه إبراهيم منه ، ويشمه ، ويشرب)

آه ، نعم هذا هو مشروب الجن الأصلى . (يشمه مرة ثانية) أتعتقد أنه هو .

(يتجرع جرعة كبيرة) نعم (يأخذ جرعة أخرى) إنه ليس سيئا جداً ، أليس كذلك ؟

كريس : لا .

إبراهيم : أعتقد أنه لايمكن وضعه مرة ثانية فى الزجاجة، فهذا غير صحى، وحرام أن نرميه .

(يتناول رشفة على مَهَل ، ويضع الكوب بجانبه)

كريس : ألا تريد أن تأخذ منشطا معه ؟

إبراهيم : لا يمكنك دائما أن تحصل على كل ما تريد .

كريس : أنا ذاهب لرؤية والدتى .

إبراهيم : أعتقد أنه من الأفضل ألا تخبر سيدتى عما أفعل ، أعنى شرب الجن .

(يبدو واضحا أن كريس محبط من هذا التحذير ، ولكنه يوافق على مضض بعد تردد)

كريس : حسنا .

(يترك المطبخ ، ويمرمن الصالة إلى حجرة الجلوس ، وفى الظلام يفشل فى رؤية والدته فى الحجرة الإضافية ، ولكن عندما يتوقف على عتبة حجرة الجلوس ، يسمع تنهيده مكتومة . فى البداية ، يتردد ، وحينئذ يلتفت ، ويعود إلى الحجرة الإضافية ، ويقف فى المدخل لحظة قبل أن يتكلم)

ما هى الحكاية ؟

الوالدة : كل شىء على ما يرام ، ليس هناك شىء .

(يتردد كريس ، ويبحث عن طريقة لمواصلة الحديث)

كريس : لا بد وأن هناك شيئا.

الوالدة : لا .

كريس : ألايمكنك أن تُطلعينى عليه ؟

(تنظر إليه لحظة ، وتستعيد هدوءها)

الوالدة : لا أعرف كيف .

(ينبعث من الحديقة صفير الأب ذى النغمتين المختلفتين . وتنهض والدته بسرعة)

أخبر إبراهيم وأباك أننى لن أنزل للعشاء .

(تنجح فى المرور من الصالة ، والصعود على السلالم قبل أن يصل والد كريستوفر بمحفظته الجلدية المسطحة ، ويتوقف عندما يرى كريس واقفا فى مدخل الحجرة الإضافية)

الوالد : أهلا ، ماذا تفعل ؟

كريس : تقول والدتى أنها لن تنزل للعشاء .

الوالد : إنها لاتعانى من صداع نصفى ، أليس كذلك ؟ لقد كانت على ما يرام هذا الصباح .

كريس : كانت تبكى .

الوالد : آه.

(يتجه نحوحجرة الجلوس ، حيث يخلع معطفه ، ويجلس فـــى مقعـــده ذى الذراعين . يرجع كريس للخلف لحظة ، وبعد ذلك يدخل ليلحق بوالده)

كريس : ماذا بها ؟

الوالد : ماذا قالت ؟

كريس : رفضت أن تقول لى أى شىء .

الوالد : أتوقع إنها ستكون على ما يرام .

كريس : نعم ، ولكن ماذا بها ؟

(صمت . يقوم إبراهيم بخلط كوبين من الويسكى والصودا فى المطبخ بعد أن سمع بوصول والد كريس)

ألا تعرف ؟

(لا يجاوب والده : وبدلاً من أن يجاوب يخرج جريدتـــه مـــن محفظتـــه الجلدية المسطحة)

الوالد : هل قررت أين ستذهب وماالذى ستشاهده غداً ؟

كريس : لا أعرف إذا هل سيكون لدى وقتاً أم لا ، فأنا مضطر إلى كتابـــة مسرحية فى واجبى المنزلى .

الوالد : مسرحية أخرى ؟

(يمر إبراهيم من الصالة ، ومعه صينية المشروبات ، ويصل إلى حجـــرة الجلوس)

أوه ، شكرا يا إبراهيم ، سيدتك فوق ، وهى لا تشعر أنها بحالة جيدة .

إبراهيم : لا تريد مشروبها .

الوالد : لا أعرف ، خذه واصعد إليها يا كريس واعرف رأيها .

إبراهيم: صداع نصفى ، ياسيدى ؟

الوالد : لا أدرى ، ولكنها تقول إنها ليست بحالة جيدة تؤهلها لتناول العشاء .

إبراهيم : حسنا ، ياسيدى .

(يترك الحجرة ، ويمر من الصالة ، بينما يظهر كريس مرة ثانية ومعه المشروب ، وينتظره إبراهيم أسفل السلالم)

أنا حذر .

(يأخذ الكوب من كريس ، ويعود إلى المطبخ ، ويضع الكوب الممتلئ فى الخزانة ، وبعد ذلك يرتشف رشفة من مشروب الجن . وأثناء ذلك يعود كريس إلى حجرة الجلوس ، ويصمت صمتاً يدعو إلى القلق)

كريس : لا تريده . إنها مازالت تبكى .

(صمت . يشرب والد كريستوفر جرعة كبيرة من الويسكى)

الوالد : أتجد متعه فى كتابة هذه المسرحيات ؟

كريس : نعم ، أعتقد أننى أريد أن أصبح كاتبا .

(يفكر والد كريس فى ذلك لحظة وهو مندهش)

الوالد : ماذا ، أتقصد ... من الناحية المهنية ؟

كريس : نعم .

الوالد : حسنا ... (يفكر لحظة ، ويحتسى الويسكى ، ويهز رأسه)

... إذاً إنها فكرة جيدة أن تبدأ مبكراً قدر المستطاع .

كريس : أالامر كذلك ؟

(ينفزع كثيراً من موافقة والده السريعة)

الوالد : كل الكتاب العظام بدأوا صغارا . كونان دويل (Conan Doyle)[1] ورايدر هاجرد (Rider Haggard) [2] و روبرت لويس اسينفسون (Robert Louis Stevenson)[3]

كريس : هل فعلوا ذلك ؟

الوالد : نشر 'كونان دويل' شيئا ما عندما كان يبلغ من العمر أربعة عشر عاما، ورايدر هاجرد آخذ مؤلفه " **خزائن الملك سليمان** " إلى ناشر عندما كان فقيراً جداً، وفى أيامه كان من الممكن أن يبيع حق التأليف مباشرة أو ينتظر الحصول على نصيب فى الأرباح . ولأنه كان فى حاجة إلى المال فإنه قام بتوقيع عقد يبيع بمقتضاه حق التأليف للناشرين . وكان على وشك أن يغادر المكان عندما قال كاتب فى المكتب الخارجى " يا سيد هاجرد ، أنى أعرف أنه ليس من شأنى ، ولكننى قرأت كتابك ، وأنى لأعتقد أنك ينبغى أن تبيع حق التأليف . فعاد 'رايدر هاجرد' إلى الداخل ، وقال ، " أنا آسف ، أود أن أغير رأيى ، وسمحوا له بذلك ، وبالطبع كون ثروة . ولهذا تنكر ألا تبيع أبدا حقوق تأليفك .

كريس : لن أفعل ذلك .

(في المطبخ ، انتهى إبراهيم من تقشير البطاطس ، والآن يلف بحرص قطعة اللحمة المتبقية فى ورقة من أوراق الجريدة ، ويضعها فى جيب جلبابه ، ويأخذ جرعة أُخرى من الجن ، ويهتز بسرور)

الوالد : كل الكتاب البارعين بدأوا الكتابة بمجرد رؤيتهم للضوء . لذا .

كريس : نعم.

الوالد : حسنا ، هذا رائع.

---

١ ـ كاتب بريطانى مشهوربقصصه البوليسيه عن شخصيةالمخبر السرى شارلك هولمز .
٢- روائى إنجليزى تدور روايته حول المغامرات .
٣ـ روائى وشاعر إسكتلندى ساهم بكلاسيكيات عديدة فى أدب الأطفال .

(تتوارى الأضواء من على حجرة الجلوس بينما يبتلع إبراهيم قرصين من دواء القلب بماتبقى من مشروب الجن)

المشـــــــــــــــهد العاشر

(كريستوفر)

كريستوفر: كانت موافقة والدى السهلة كريمة ، وكان من الممكن أن ينتقل لى حماسه ، ولكننى كنت أعرف ، حتى فى ذلك الوقت ، أن تشخيصه كان خاطئا . فقد أوحت له فكرة أن أصبح كاتبا بنوع من المغامرة ، فتصور هذا النداء الباطنى على أنه نعمة فى حين أن دروسى الفرنسية نبهتنى إلى فكرة أنه قد يكون نقمة . وبعيدا فى الصحراء كان هناك تمثال لى ممنون Memnon [1] الذى سمع أحياناً وهو يغنى ، و لكن فقط عند غروب الشمس. وكان يمكننى التنبؤ بما ستؤول إليه الأمور . فبينما كان يتحدث أبى عن النور كنت أعرف أنه ليس نورا ، فقد كنت أرى ظلاما .

وكانت رياح الخماسين ، تلك الرياح التى تهب من الصحراء على البلاد كل ربيع ، سيئة فى عام ١٩٥٦ ، واستمرت فى هبوبها حتى شهر رمضان مضيفة حدة إلى حدة الجو الغريب القائم الذى أحدثه صيام السكان طوال ساعات النهار. وكانت هناك عواصف مفاجئة ، وأثناء واحدة منها تغير لون شجرة الكافور فجأة إلى اللون الأزرق ، وخلف البرق شريط أسود على لحاء الشجرة . ورحت أبحث عن حربائى فوجدتها واقفة على فرع قريب ، وقد

[1] - ملك إثيوبى قتله البطل إليونانى أكليز وخلده الإله زيوس .

صار لونها أغمقا ومنقطا ، وكانت تبدوغاضبة إلى حد ما ٠ مددت يدى ، و لكنها فتحت فاها ، وهسهست ، وفعلت شيئا مربكا : فكت قبضتيها من على الفرع ، وسقطت مثل حجر ، و تجمدت على شكل تمثال فـوق الأرض ، و كانت هذه آخر مرة رأيتها فيها .

وفى بداية يوليو ذهب المدير فى أجازة إلى الوطن ، وأصبح أبـى مـسئولاً مسئولية مؤقتة عن موقع الإسكندرية ، وبعد ذلك بثلاثة أسابيع كان هنـاك مشكلة ، كما هو معروف جيدا .

(صوت اقتباس من خطاب ناصر بالإسكندرية فى ٢٦ يوليو ١٩٥٦ الذى أعلن فيه تأميم قناة السويس ، وكان يبدو قويـا وواثقـا ، وكـان رد فعـل الجمهور حماسيا جدا. يحل محل خطاب ناصر رد فعـل إيـدن(Eden)[1] : الإذاعة الوزارية فى الثامن من أغسطس . وبالمقارنة بعبد الناصر كان إيدن يبدو متلعثماً وغير واثق ، وكان هناك بعض الإجهاد الملحوظ فى صوته)

وبدا كل هذا بالنسبة لى أقل خطورة من إراقة الدماء التى وقعت فى عـام ١٩٥٢ ، وكان الصبية غير البريطانيين فى مدرسة الصبية البريطنيين أكثر تسامحاً من الأمراء الصغار فى ڤكتوريا كولدج ٠ وقد هاجمنى ولد يـدعى بكرى فى دورة المياه ، ولكننى كنت محظوظا بحيث اسـتطعت أن أمـسك بقدمه ، عندما حاول رفسى ، فضرب رأسه مرحاض ، وبالتالى لم يـتكلم . وفيماعدا ذلك لم يكن هناك شىءٌ يذكر . ولم أكن مهتما بالـسيد 'أنطـونى إيدن' ، بل كنت مهتما بفيلم " شرق عدن" الذى استجابت له والدتى استجابتها المعهودة .

(يُوضع مفتاح فى الباب ، و تدخل والدة كريستوفر المنزل ، يتبعها كريس ووالده ٠ الوقت فى المساء ، و يصادف أن إبراهيم غير موجود بالمنزل)

---

١ - سياسى بريطانى محافظ شغل منصب وزير خارجية بريطانيا لثلاث فترات من عام ١٩٣٥ إلى عام ١٩٥٥ وشغل منصب رئيس الوزراء من علم ١٩٥٥ إلى علم ١٩٥٧ .

الوالدة : يالها من نهاية مضحكة !

كريس : لا ، لم تكن مضحكة .

الوالدة : حسنا ، لم أستطع فهم ما فعلوه من جلبة لا داعى لها .

كريس : ومع ذلك كان رائعاً ، أليس كذلك ؟ حتى الطريقة التى قذف بها الحجر .

(يدخلون جميعاً حجرة الجلوس ، و يشعل والد كريستوفر سيجارة ، ويقدم سيجارة لوالدة كريستوفر فترفضها)

الوالد : كان الفيلم الإخبارى مزعجا بعض الشىء .

الوالدة : لا أعرف لماذا صاحوا هكذا .

الوالد : أعتقد أنكم ستضطرون إلى الرحيل قبل وقت طويل .

الأم : حسنا ، لن أرحل هذه المرة . أقطع كل هذا الطريق إلى الوطن ، و قبل أن ننزل من السفينة يغيرون رأيهم، إن هذا يعطل الولد .

الوالد : عندى شعور أن الأمر أخطر قليلا هذه المرة .

الوالدة : حسنا ، ماالذى يعتقده ، أيسرق القناة ؟

الوالد : للدقة ، إننا والفرنسيين لا نمتلكها ، والعقد ينتهى عام ١٩٦٨ . فقد تدخل ديزرائيلى (Disraeli)[١] وحصل عليها بمبلغ أقل من أربعة ملايين ، ولذا فإنها من حق مصر الآن .

الوالدة: لقد سرق المال .

الوالد : اجل ، إنه فى حاجة إلى مال لبناء السد ، ووعده الأمريكيين ، ثم خذلوه .

الوالدة: هذا لأنه أغضبهم بشرائه أسلحة من التشيكيين .

الوالد : حسنا ، إن الأمريكيين كانوا لاينون بيع أى أسلحة له ، وكذلك نحن .

---

١ - بنيمين ديزرائيلى كان كاتباً ورئيس وزراء بريطانى أثر على السياسة البريطانية أكثر من ثلاثة عقود وكان له بصمة كبيرة على حزب المحافظين .

الوالدة: هذا عين العقل ، فلوحدث لصوبها إلينا .

(صمت . والد كريستوفر يأخذ نفسا طويلاً من سيجارته ويزفُر عدد من حلقات الدخان الكاملة ، المنظر الذى يسر كريس)

الوالد : انظرى ، عندما جئنا أول مرة إلى الإسكندرية كان يوجد فوق المائة من أعضاء الهيئة الإنجليزية فى الشركة ، و الآن يوجد أربعة ، وأعضاء الهيئة المصرية مهرة مثلنا. لقد استفدنا كثيرا من هذا البلد ، و الآن نحن مضطرون إلى إعادتها إليهم كاملة .

الوالدة: اجل ، أنا لا أعرف شيئا عن ذلك ، و كل ما أعرفه هو أننى لا أريد الرحيل هذه المرة فالأمر لايستحق ذلك أبداً ، وهذا هو الحال منذ أن كنت فتاة صغيرة .

كريس : أهذا صحيح ؟

الوالدة: إنى أتذكر عندما كان عمرى حوالى خمس سنوات ، بعد الحرب بالضبط ، الحرب العالمية الأولى ، وكنت فى السويس ، وكان هناك شغب .

كريس : هل كان شغبا ؟

الوالدة: لا أدرى . كان نوعا ما من الإضراب، لا أعلم ، و لكننى يمكن أن أتخيلهم الآن ، وهم ينزلون الشارع ، و يربطون أنفسهم معا بغطاءات رؤوسهم من المعصم ، حتى لا يستطيع البوليس فصلهم عن بعض . على كل حال ، حوالى ستة منهم بدأوا فى صعود السلالم الخلفية للمنزل ؛ ولذا تحدثت أمى إلى الطباخ ، و كان الحساء جاهزا للغذاء . و أحضر الطباخ فوطة الصحون ، وحمل القِدر الكبير ، وصبه فوقهم .

كريس : و ماذا حدث ؟

الوالدة: حسنا إبتعدوا وهم يصرخون كما أتذكر .

(صمت . يبدأ كريس فى المشى ذهابا وإيابا ، ويداه فى جيوبه ، وكتفاه منحنيان ، وعيناه شبه مغمضتين خلف النظارة السميكة . تشاهده أمه لحظة وهى مسرورة)

من تعتقد أنت ؟

(يقف كريس و يخرج يديه من جيوبه)

كريس : أهو حقا ميت ، چيمس دين (James Dean)[1] .

المشـــــــــــــــهد الحادى عشر

(صوت خافت عند السلم ، حيث يظهر إبراهيم ، وهو ينهج تحت حمل جذع خشبى ثقيل يحمله على ظهره. الساعة حوالى التاسعة صباحاً ، ويشق طريقه بصعوبة أسفل السلالم ، وهو يخطو خطوة بخطوة بألم ، وبتنفس ثقيل على شكل شخير. فى لحظة معينة يندفع والد كريس من الباب الأمامى ، و يلمح إبراهيم ، ويكون رد فعله انفعاليا)

الوالد : هنا ، دعنى أساعدك .

إبراهيم : كل شىء على ما يرام يا سيدى ، لا تقلق .

(يصل إليه والد كريستوفر)

الوالد : تقدم .

(يلف حول ظهر إبراهيم ، و يأخذ الحمل. يلتفت إبراهيم ليواجهه ، ويستمرون فى حمل الجذع أسفل السلالم ، ويخرجون من الباب الأمامى .

---

[1] - ممثل أمريكى حصل على جائزة أوسكارمرتين ، ولعب دور البطولة فى فلمى 'شرق عدن' و'ثائر بلا قضية' وتوفى فى حادث سيارة عام ١٩٥٥ عن عمر يناهز ثلاثة وعشرون عاما .

توقف لفترة قصيرة. حينئذ يظهر كريس على السلالم ، و هو يحمل حقيبة سفر ، و تتبعه والدته التى تحمل حقيبة سفر أيضاً وحقيبة صغيرة)

الوالدة : إننى لا أستطيع أن أُصدق سبب اضطرارنا إلى الرحيل فى هذه الساعة . سوف ننتظر داخل محطة القطاروقتا طويلا .

كريس : والدى يحب أن يكون فى الأمان .

الوالدة : يبدو أننا لن نلحق بآخر قطار الليلة .

(يصلون إلى الصالة ، ويضعون الحقائب ، ويظهر إبراهيم مرة ثانية ، وهو يتصبب عرقا ، وطربوشه مائل)

إبراهيم : يقوم سيدى بإخراج السيارة .

الوالدة : انتبه إلى كريس دقيقة واحدة وسوف أطرق الباب المجاورلنا كى أودع الجيران.

(تغادر . ينهج إبراهيم بصوت عالٍ ، ويتجه نحو مطبخه ، ويتبعه كريس . يجد إبراهيم منديل مائدة فى أحد الأدراج ، ويمسح وجهه ، ويضع يده على قلبه . تخطر ببال كريس فكرة سارة ، فيحضر كوبا وزجاجة ، ويصب ويسكى لإبراهيم ، ويناوله الكوب ، ويشربه إبراهيم مرة واحدة)

إبراهيم: ألا ينبغى أن ننتظر حتى تشرق الشمس ؟

كريس : لا ، إلا إذا كانت هذه وصفة طبية .

إبراهيم : أنا مسلم ملتزم أُصلى ، وأصوم رمضان ، وأُراعى الله فى زوجاتى ، ولكن هناك شيئا واحدا دائما يحثنى على أن أصبح مسيحيا. إنه الويسكى : وأنا أعرف أن شربه حرام .

كريس : معلش (Ma'lesh) .

(يبتسم إبراهيم)

إبراهيم : عندما تعود إلى انجلترا لابد أن تذهب لرؤية السيد 'إيدن' ، و تخبره بأن يحسن صورته . لا بدأن يتصل بالسيد ونستون(Sir Winston)[1] الذى سيقول له : لا تكن رجلا أحمق ، فالسيد ونستون يعرف أن الزعيم عبد الناصر ليس هتلر الثانى ؛ لأنه يعرف من هو هتلر الأول ، ولن يؤيد غباء السيد إيدن هذا .

كريس : والدى يقول إنه كبر وصار يخرف .

إبراهيم : اجل ، كبر ويخرف إن هذا أفضل من أن يكون غبيا ، أليس كذلك ؟

كريس : أعتقد أنه لو أنك نظرت إلى المسألة من تلك المنظور ...

(يعود والد كريستوفر إلى المنزل ، ينظر حوله ، وحينئذ يتجه إلى المطبخ ، وهو يبدى شيئا من القلق)

الوالد : إذا كنتم مستعدين أعتقد أنه ينبغى أن تغادروا الآن. أين والدتك ؟

كريس : فى المنزل المجاور لنا .

الوالد : من الأفضل أن أذهب ، وأخرجها ، وإلا ستظل هناك طوال الصباح .

(يغادر مرة ثانية الصالة ، ويحمل الحقيبتين الموجودتين بالصالة . يسرع إبراهيم لمساعدته ، ولكنه يرفض مساعدة إبراهيم)

أستطيع أن احملهم وحدى .

(يغادر . يرجع إبراهيم إلى المطبخ)

إبراهيم : عندما تصبح رئيس وزراء أنا متأكد أنك لن تفعل شيئا غبيا كهذا .

كريس : لن أكون رئيس وزراء يا إبراهيم . فأنا لاأستطيع أن أكون رئيس وزراء ، حتى لوفرضنا أننى أريد أن أكون رئيس وزراء .

١- رئيس وزراء المملكة المتحدة فى الفترة من عام ١٩٤٠ إلى عام ١٩٤٥ ، والفترة من عام ١٩٥١ إلى عام ١٩٥٥.

إبراهيم : لا . إنك تريد أن تكتب قصصاً .

كريس : هذا صحيح .

إبراهيم : هذه وظيفة أفضل بكثير من إزعاج حياة الناس .

كريس : أهذا ما يفعله رؤساء الوزراء ؟

إبراهيم : بالطبع. إنهم دائما يقولون " إننا نصلح كل شيء " ، وهذه أكذوبة ، وهم يعرفون أنها أكذوبة ، فالإنسان الصادق يعمل عملاً مختلفاً .

كريس : إذاً أنت تقصد أن أى إنسان يريد أن يكون رئيس وزراء لا يستحق أن يكون رئيس وزراء .

إبراهيم : أحسنت .

(يعود والد كريستوفر ووالدته)

الوالد : تعال ، يا كريس .

(يخرج كريس وإبراهيم إلى الصالة)

الوالدة : حسنا ، اعتنِ بصحتك يا إبراهيم . أتوقع أن نعود قبل أن تعرف بعودتنا .

إبراهيم : أوه ، نعم ، يا سيدتى .

(يتصافحون وينحنى إبراهيم انحناءة تعبرعن احترامه لهم ، ويحمل والد كريستوفر حقيبة السفر)

الوالد : سوف أراك لاحقاً .

إبراهيم : نعم ياسيدى عندما تعود لتناول الغذاء .

الوالد : تماما .

الوالدة : ودع إبراهيم يا كريس .

(يقف كريس محدقاً النظر فى إبراهيم ، ومرتبكاً بعض الشيء ، نظراً لسرعة الأحداث ، وينظر إليه إبراهيم نظرة إجلال)

إبراهيم : كن ولداً صالحاً .

كريس : اجل .

(وفجأة يعانقه إبراهيم بشدة. وبعد ذلك ينحنى ويقبل خديه ، وأخيراً يخلع طربوشه ، ويضعه على رأس كريس)

إبراهيم : هذا هدية لك كى تتذكرنى وأنت فى انجلترا.

كريس : شكراً.

(يبكى كريس وتصحبه أمه من يده وتبدأ فى الخروج به ، ويعاود كريس النظر إلى إبراهيم)

إبراهيم : سوف تعود سريعاً إلى الإسكندرية.

(عندما يرحلون يقف إبراهيم بمفرده لحظه فى الضوء الذى يتوارى ، و يمسح خده بظهر يده)

المشـــــــــــــــهد الثانى عشر

(بينما يتوارى الضوء ، تتصاعد الأصوات فى مدينة الإسكندرية ، فنسمع صوت سير حركة المرور ، وصوت الترام عند نهاية الطريق ، و صيحات المارة فى الشوارع ، وصوت الموسيقى المصرية المنبعثة من مذياع الجيران ، وصوت 'بيلا' الأجش ، وهى تطلب مشترياتها مستخدمةً اللغة اليونانية ، وآذان المؤذن . ويستمر هذا وسط الظلام لبرهة من الزمن ، وحينئذ تختفى الأصوات . وفى نفس الوقت يسطع الضوء على كريس الذى يقف بجوار سور من السلك المتين على شكل مسطح متساوى الأضلاع ومشدود على أعمدة خشبية . والإضاءة هى إضاءة إنجليزية خافتة)

كريستوفر : ودعت الإسكندرية ، وودعتنى ، وكان آخر شيء رأيته فى مصر هوماسح أحذية يقف على حاجز مائى ، حولته البحرية الملكية فيما بعد بأسابيع قليلة إلى كومة من الحجارة ، وهو ينادى علينا بعد أن صعدنا على زورق بخارى فى بورسعيد قائلا : " إننا نحب البريطنيين" لماذا ؟ وحتى ذلك الحين كنت مندهشاً من ذلك الود .

وتم إرسالى إلى مدرسة إعدادية غير مشهورة فى سارى (Surrey) ، اختارها والدى بعناية من دليل كتبه رجل مخيف ، وكانت أهم لعبة غير رسمية هنا ، بعيداً عن الوطنية ، هى القتال بالسيوف على المزالج ذات العجل المشدود إلى نعال الأحذية .

(يقع السور السلك عند نهاية الملعب ، وتظهر مجموعات من الأولاد على شكل زوجى ، يقف واحد منهم عند نهاية المكان ، وواحد من كل زوج على المزالج ، وتناهز اللعبة المثاقفة[1] ، وهدفها هوإخلال توازن أحد المتزحلقين اللذين يجلسان القرفصاء ، ويدفعهما ويوجههما رفاقهم مباشرة ، بأقصى سرعة ، تجاه بعضهم البعض ، عبر الأسفلت ، ويندفع الزوجان نحو بعضهم أسرع فأسرع ، وينحرفون إنحرافا قليلاً فى آخر لحظة دون محصلة شاملة. ويظهر كريس فى زيه ، وهوعبارة عن قميص رمادى ، وجوارب رمادية اللون ، وحزام من جلد الثعبان ، وببيونة خضراء ، وحذاءً لونه اسود وجديد إلى حد ما وبه رباط ، ويشاهد كريس بحذر ، ولكنه مفتون ، بينما يدفع الدافعون المتزحلقين عند نهاية الأطراف ، ويستأنفون سيرهم بعد التصادم . وفى هذه المرة ينجح التوجيه الماهرمن قبل أحد الدافعين ، وإصطدامه المتميز بكتف المتزحلق الذى يدفعه ، فى إفقاد المتزحلق الخصم توازنه وطرحه أرضاً . يبدأ ناقوسُ فى الدق من على بعد ، و يبدأ الأولاد

---

[1] - المقارعة بالسيف بين فارسين.

فى خلع مزالجهم . يلتفت كريس ، ويشرع فى الإبتعاد ، ولكن يستوقفه أحد الأولاد .

الولد الأول : ألديكم مزالج ؟

كريس : أنا .

الولد الأول : نعم ، أنت .

كريس : لا .

الولد الثاني : لا أتعتقد أن لديهم مزالج هناك ؟

كريس :لا ، لديهم مزالج هناك .

الولد الأول : أراهن أنك لا تستطيع حتى التزحلق .

كريس : إننى لا أستطيع .

الولد الثالث : إنه مشغول جداً بحبه للغرباء .

كريس : لا .

الولد الثالث : نعم ، أنت محب للغرباء .

كريس : لست كذلك .

الولد الرابع : سمعت ما كنت تقوله بالأمس .

الولد الأول : ماالذى كان يقوله ؟

كريس : قلت فقط إنهم إذا أرادوا أن يذهبوا للحرب على قناة السويس فإنهم فى حاجة إلى إجراء فحص على عقولهم . هذا ما يقوله أبى .

الولد الثالث : عمى طيار.

الولد الثاني : يا محب للغرباء .

الولد الأول : دعنا نره الثقب الموجود فى السلك .

(يمسك الأربعة بكريس ، ويحملونه إلى السلك ، وهو يقاوم مقاومة يائسة . الثقب المشار إليه ليس ثقبا ، فى الواقع ، بل هو جزء من السلك وقع من على الحائط على الأرض فى نهاية الملعب . تتجه رأس كريس إلى أسفل ،

ويتم حشره فى الفجوة ، ويستمرون فى دفعه ، وضربه بقبضات اليد ، حتى يختفى ، ويبتعد عن الرؤية . وبعد فعل ذلك يجمع الأولاد مزالجهم ، ويجرون ، وهم مبتهجون ، تاركين كريس وحيدا على خشبة المسرح)

كريستوفر : كان الغرض من ذلك هو إسقاطى عند ممشى حديقة الناظر غير المسموح بالاقتراب منها ، وكانت عقوبة التجاوز هى الضرب . سقطت على قدمى ويدى ، وتخفيت بين الشجر حتى كان من الأمان أن أظهر دون أن تستطيع الشرطة المدرسية تحديد موقعى ، ودون أن أُجر ، أو أُدفع أسفل الحفرة مرة ثانية . لقد هُوجمت على أننى معادٍ للبريطنيين كما هُوجمت ذات مرة لكونى بريطانيا ، وأسهمت هذه الاعتداءات المتماثلة إسهاما قيما فى نشأتى السياسية . فلقد سئمت من كل نوع من اليقين يتسم بالثقة منذ ذلك الحين .

وكان أبى يدير المكتب فى ظل هذه الظروف الصعبة ، ولم يكن مسروراً فى الأيام الأولى من شهر نوفمبر ، عندما صار المكتب هدفاً لغارة جوية ، اتسمت بالدقة من قبل قوات الطيران الملكى . وبالطبع كان والدى يقدر الضرورة الاستراتيجية لانتزاع شبكات الاتصال ، وكانت حالة الإصابة الوحيدة هى إصابة صولجان الكنيسة المشيخية المجاورة ، والذى كان فى الثمانين من عمره ، ويمكن القول بأنه تمتع بعمرٍ طويل ، ولكنه وجد من الصعب تقبل هذا بنفس راضية . وبالمثل لم يتقبل الزعيم عبد الناصر الموقف ، فتم مصادرة كل الأصول البريطانية و الفرنسية ، وتم تجميع أعضاء هيئة مكتب الاتصالات بالقاهرة ، وإحضارهم إلى الإسكندرية ، حيث تم حجزهم فى فندق 'سيسلى' ، وتم تحديد إقامة أبى ، وأصبح رهينة بالفعل .

المشـــــــــــــــهد الثالث عشر

(يتجه نحو المنزل عندما يسطع الضوء عليه ، ويخلع نظارته ليلعب دور والده ، ويستوقف إبراهيم ، وهو يمشى بتثاقل فى الصالة ، ومعه كوب من الشاى)

الوالد : سوف آخذ ذلك الكوب .

(يأخذه ، ويفتح الباب الأمامى ، ليكشف عن حارس قوى البنيان يحمل بندقية ، ويرتدى زى الجيش المصرى)

أتود كوباً من الشاى ؟

الحارس : اجل ، شكراً يا سيدى .

الوالد : قطعتين من السكر ، أليس كذلك ؟

الحارس : بلى .

الوالد : أنصت ، لماذا لا تدخل وتريح قدميك لمدة دقيقة . تفضل بسكويت .

(يتردد الحارس ، وهو يقاوم الإغراء)

الحارس : حسنٌ ، هذا كرم زائد ...

الوالد : تفضل بالدخول .

(يستدير ، ويقود الحارس إلى حجرة الطعام ، حيث يتصاعد البخار من كوب الشاى الموجود بجانب طبق من البسكويت الرقيق . يشاهده إبراهيم ، وهو يدخل ، وحينئذ يحوم فى المدخل . وتتم تعبيرات وجهه على أنه غير موافق على ذلك ، وفى غضون ذلك يضع الحارس بندقيته على المنضدة ، و يجلس على أحد الكراسى . يرتشف بعضاً من الشاى ، ويقبل قطعة من البسكويت)

لابد أن وقوفك هناك بالخارج ممل .

الحارس : وكذلك الحال بالنسبة لك ياسيدى هنا بالداخل .

الوالد : حسن ، أنا يمكننى أن أقرأ كتاباً ، أوأحل كلمات متقاطعة ، أو أنصت إلى المذياع .

الحارس : يقول لى إبراهيم أن القوات الجوية البريطانيـــة قـــذفت مكتبـــك بالقنابل .

الوالد : نعم لقد حاولوا ، ولكنهم لم يصيبوا الهدف . قصفوا الكنيسة .

الحارس : بو ، بو ، بو.

(يحرك يده إلى أعلى وأسفل ، تعبيرا عن تعاطفـــه ، و يقـــدم لـــه والـــد كريستوفر سيجارة ، يقبلها ، ويدخنها باستمتاع . تأتى عيناى إبراهيم ، وهو يشاهدهم ، فى عينيى والد كريستوفر ، ويغمز بعينه ، ويومئ برأسه إيمـــاءة بسيطة ، ثم يتحدث مع الحارس باللغة العربية ، و يسأله سؤالا يجيب عليـــه الحارس بحذر ، وبعد ذلك يطرح عليه إبراهيم سؤالاً أطول . صمت . حينئذ يلتفت الحارس إلى والد كريستوفر)

إن إبراهيم يسألنى سؤالاً شيقاً جداً .

الوالد : ما هو ؟

الحارس : يسألنى لماذا لا يوجد حارس على البوابة الخلفية .

الوالد : وماهى الإجابة ؟

(توقف مؤقت ، بينما يأخذ الحارس نفساً آخر من السيجارة ، وهو يفكـــر فى الإجابة)

الحارس : كى يمكنك الذهاب والإياب ... (يـــشير إلـــى نفـــسه) ... فالحارس على البوابة لايراك .. فكل منا فى شأنه .

(يبتسم والد كريس ، ويلاحظ ملحوظة عامة ، و لكنها موجهه بوضوح إلى إبراهيم)

الوالد : أحسنت .

(تنطفئ الأنوار من على المنزل)

المشـــــــــــــــهد الرابع عشر

(تضئ الأضواء على حجرة الناظر فى مدرسة إعدادية . يجلس النـــاظر ، وهو أصلع الرأس باستثناء جزء من الشعر الأشيب الناعم الخفيف الذى يأخذ شكل دائرة صغيرة ، على مكتبه ، يكتب بعض الأوراق . وهو يرتدى معطفاً رياضياً قديماً مصنوعا من التويد ، وملصقا عليه فى منطقة الكوع قطعتـــان من الجلد الأخضر ، ويرتدى تحت المعطف سترة من الـــصوف المحبـــوك لونها أخضر ، ويوجد بجانب مكتبه سلة مهملات ، لونها اخضر ومصنوعة من المعدن . وفوق مكتبه يوجد طربوش إبراهيم مقلوبا ، وعدة مدخن غليون شرس ، وخيزرانة مستقيمة وناعمة ورفيعة . تُسمع قرعة على بـــاب غيـــر مرئى)

الناظر : ادخل .

(يدخل كريس إلى الحجرة ، ويقف أمام مكتب الناظر ، وهو مُتَوتر ، بينما يستمر الناظر فى كتابة تقرير ، وأخيراً يتوقف الناظر عن الكتابة ، و يغطى قلمه الحبر بحرص ، وينظر إلى كريس)

أعتقد أنك تعرف سبب استدعائى لك هذا المساء .

كريس : نعم ، يا سيدى .

الناظر : أنت مستجد على المدرسة ، وأنا مقدر أن هذه فترة صعبة بالنـــسبة لك ، ولكن لأسباب ممكن فهمها ، مع أنها غير موجهة الوجهة الـــصحيحة ، أعتقد أنك لا تحاول المحاولة الصحيحة للتكيف .

كريس : آسف ، ياسيدى .

الناظر : إن أمتنا تواجه تحدياً لم يسبق له مثيل منذ أيام الحرب الكئيبة ، وببساطة لايمكن أن يكون عندى أولاد يقضون وقتهم فى إضعاف الروح المعنوية لدى الأخرين . أواضح ما أقول ؟

كريس : نعم يا سيدى .

الناظر : عدد من أبنائنا ، وفى الواقع بعضٌ من أعضاء هيئة التدريس ، لهم أقارب فى القوات المسلحة كما تعلم . وقواتنا هناك تخاطر بحياتها من أجل بلدنا ، ولا أعتقد أنه من الفطنة أو التسلية أن تطعنهم من الخلف ، أليس كذلك ؟

كريس : لا يا سيدى .

الناظر : لقد فكرت فى ذلك كثيرا ، وقررت أن المسالة فى ظل هذه الظروف ليست مسألة ضرب .

كريس : شكرا ، يا سيدى .

الناظر : ليست هذه المرة على آية حال ، ولكنى أحذرك من أننى لا أريد أن أسمع عن أى تكرار لهذه الملاحظات غير الوطنية ، والتى أسمع أنك تقوم بترديدها . فهناك حدٌّ للتساهل ، أهذا واضح ؟

كريس : نعم ، يا سيدى .

(بعد أن ينهى موعظته الأخلاقية ، يتخلص الناظرمن توتره على نحو ملحوظ)

الناظر : اجلس لحظة ، أهذا ممكن ؟

(يجلس كريس على كرسى قريب ذى ظهر مستقيم ، ومازالت تبدو عليه علامات القلق . يبدأ الناظر فى تنظيف غليونه ، فينفض الدخان المحروق ، وينفخ فى الساق ، ويملأ تجويف الغليون بدخان يستخرجه من كيس ، وهلم جراً)

أعلم أن والدك مازال هناك ، ولاأعتقد أنك قد تلقيت منه خطاباً منذ بدء اندلاع الأعمال العدائيه .

كريس : نعم يا سيدى . تلقت أمى منه خطابا يوم الجمعة ، أحضره صديقٌ إلى المنزل .

الناظر : أنا واثق أن روحه المعنوية مرتفعة .

كريس : حسن ، لا ، يا سيدى إنه غضبان جداً .

الناظر : هل يحتجزونه ؟

كريس : لا ، يبدو أنه قادر على التحرك بحرية .

الناظر : لماذا إذاً هو غضبان ؟

كريس : اجل ، لقد حاولت القوات الجوية الملكية قتله . ويقول أنه لم يسمع قطٌ عن بوليس يأتى إلى منزل يتم سرقته ليُقيد صاحب المنزل ، ويضربه على رأسه ، ويعطى اللص الغنيمة .

(صمت . ينتأ جبين الناظر)

الناظر : هل والدك عامل ؟

كريس : أوه ، لا ، يا سيدى ، إنه مهندس .

الناظر : مما لا شك فيه أن وجوده فى خضم الأحداث يمكن أن يشوه رؤيته إلى حد ما ، وما قلته الآن هو بالضبط الشىء الذى لا أعتقد أنك ستستفيد من نشره فى المدرسة . أتفهمنى ؟

كريس : نعم ، يا سيدى ، إنى أفهمك .

الناظر : هذا حسن ، و الآن هل هناك شىء تريد أن تستفسرعنه منى ؟

كريس : لا ، يا سيدى ، لا أعتقد ذلك .

الناظر : حسن جداً . يمكنك أن تغادرالآن ، وتذكر ما قلته لك .

(ينهض كريس على قدميه ، ويتردد لحظة ، مهيئاً نفسه ليسأل سؤالا . وأخيراً يبدأ الناظر فى تدخين غليونه)

كريس : سيدى ؟

الناظر : نعم ، ماذا تريد ؟

كريس : هل يمكننى استعادة طربوشى ، يا سيدى ؟

الناظر : آه ، إنى سعيد أنك ذكرتنى ، فقد نسيت تقريباً.

(يدخن غليونه محدثاً صوتاً لبرهة من الوقت)

فى هذه اللحظة التاريخية ، طربوش ، على ماأعتقد ، لا يمكن وصفه إلا بأنه شىء استفزازى .

كريس : سوف أضعه بعيداً ، ياسيدى ، فى صندوق الحلوى الذى أملكه .

الناظر : أنا آسف ، أنا آسف ، بالتأكيد لا يمكننى المغامرة .

(وبينما يقول ذلك يمد يده على صفيحة غاز الولاعة ، ويسكب بعضاً من الغازعلى الطربوش ، ويشعل النار فيه . يمد كريس يده تلقائياً كى يطفئ النار ، ولكن يتحكم فى نفسه ، ويحدق النظر بثبات فى الطربوش الذى يحترق ، هذا فى الوقت الذى يمسك فيه الناظر الطربوش بحذر ، ويسقطه فى سلة المهملات . وبعد ذلك ينظر إلى كريس الذى يقف متحجراً)

يمكن أن يكون هذا مؤلماً ، ولكن عندما تكبر أنا واثق من أنك سوف تفهم أن هناك مبررات قوية لما فعلت .

(وبينما يتكلم ، يتلاشى الضوء من عليه ، ومن على كريس ، ويسطع على كريستوفر الذى يتردد قبل أن يتحدث)

كريستوفر : كان هناك الكثير بلا شك فى تلك النوايا الحسنة ، ولكنها لم يكن لها تأثير على ، لأننى كنت أقبض على يدى حزنا.

المشـــــــــــــــهد الخامس عشر

(تضئ الأضواء على المنزل حيث يقوم إبراهيم ــ الذى يرتـــدى جلبابـــا وطربوشا جديداً ــ بإعداد الإفطار لوالد كريستوفر فى المطـــبخ . مازالـــت الدنيا ظلاماً ، و يبدأ ضوء ما قبل الفجر فى البُزُوغ ، يصاحبه شـــىء مـــن البرد . يراقب كريستوفر إبراهيم لبرهة قبل أن يلتفت ليتحدث إلى جمهـــور المستمعين)

كريستوفر : وكما تعرفون توقفت مغامرتنا العسكرية توقفاً فجائياً ومشيناً ، وسقطت الإمبراطورية البريطانية دون سابق إنذار. يا لها من نهاية سخيفة ! وتلقى والدى ــ الذى قد مكنته قدرته على التنقل من الإشراف على المكتـــب ومراسلة المحتجزين بفندق 'سيسلى' ــ أمراً بمغادرة البلاد بعد أقل من ثلاثة أسابيع من الغزو ، وكان عليه الرحيل فى خلال أربعة وعشرين ساعة .

(يخرج كريستوفر ، ويبدأ إبراهيم فى وضع طعام الإفطار على الـــسفرة . يظهر والد كريستوفر الذى يحمل حقيبة سفر ، ويعبر السلم ، وينزل أ ســـفل ليضع الحقيبة على أرضية الصالة ، ويدخل حجرة السفرة . يكشف إبـــراهيم بشكل ملحوظ الغطاء عن طبق به لحم خنزير مملح وبيض)

الوالد : آه ، يا إلهى ، كان يجب ألا تعد كل هذا ياإبراهيم .

إبراهيم : كيف يمكن أن ترحل ومعدتك فارغة ؟

الوالد : إنك تدللنى كعادتك دائما .

(يجلس على المنضدة و يملأ فمه من الإفطار . يمضغ بلا لـــذة لحظـــة ، وبعد ذلك يمضغ بصعوبة)

أنا آسف ، إن مَذَاق الطعام ليس لذيذا . ما رأيك فى الصودا بالويسكى ؟

إبراهيم : آه ، لا ، يا سيدى . إنك تعرف أن هذا ضد ديانتى ، ومازال الوقت مبكراً .

الوالد : كم الساعة ؟

إبراهيم : بعد الرابعة .

الوالد : هل يمكن أن تخرج ، وترى ما إذا كان السائق موجوداً ؟

إبراهيم : بالطبع ياسيدى .

(يترك إبراهيم الحجرة ، ويحمل الحقيبة ، ثم يفتح الباب الأمامي ، ويختفى . ينهض والد كريستوفر ، ويدخل المطبخ ، ويخلط الويسكى بالصودا فى كوبين كبيرين . وهوعلى وشك الانتهاء من ذلك عندما يعود إبراهيم إلى المنزل ، ويتحدث إبراهيم أثناء مروره من الصالة)

إنه موجود ياسيدى ولكنه يقول : لاتقلق فلدينا المزيد من الوقت .

(يدخل المطبخ ، ويناوله والد كريستوفر أحد الأكواب)

الوالد : تفضل .

(يقبل إبراهيم الكوب ، ويرفعه)

إبراهيم : بصحتك .

الوالد : أسعد الله أيامك .

(يشرب إبراهيم ، ويعجزعن إخفاء نظرة تنم عن عدم السرور)

الوالد : لقد شربته ، أليس كذلك ؟

(يصب الوالد المزيد من الويسكى فى كوب إبراهيم)

إبراهيم : بلى .

(يتوقفان عن الكلام حيث يحتسى كل منهما مشروبه)

الوالد : والآن يا إبراهيم هناك شىء أو شيئان أريد أن أُحدثك عنهما .

(يخرج لفة من النقود المصرية الورقية من جيبه الداخلى)

أولاً ، أريدك أن تأخذ هذه النقود . إنها حوالى مائتى جنيه .

إبراهيم : آه ، لا ، يا سيدى ، من فضلك ...

الوالد : إننى لن أستفد منها بالفعل ، لن أكون قادراً على تغييرها فى انجلترا ؛ ولذا إما أن تأخذها وإما أُلقى بها فى سلة المهملات ...

إبراهيم : حسنٌ ...

الوالد : ولكننى أريد أن تعدنى بأنك سوف تدخر نصفها على الأقل من أجل علاجك .

إبراهيم : اجل ، يا سيدى ، طالما أن هذه هى رغبتك .

الوالد : إننى أريد ذلك . وخذ هذين أيضاً .

(يناوله مفتاحين)

إبراهيم : ماهذا ؟

الوالد : مفاتيح السيارة .

إبراهيم : أنا لا أعرف القيادة ياسيدى ...

الوالد : إنى أعلم ، ولكن إذا لم نعد حتى نهاية يناير ، فمن الأفضل لـــك أن تبيعها .

إبراهيم : لا أعرف يا سيدى .

الوالد : وهناك شىء آخر ، وهذا الشىء خطير جداً . لقد عُرف فى الشوارع أننا جميعاً سوف نرحل ، وسمعت أن اللصوص فى خلال ساعة أو ما يقرب من ساعة سوف يقتحمون المنزل ويجردونه ؛ لذا اقترح أن تغادر معنـــا ، و سوف نتركك فى مكان ما .

إبراهيم : أوه ، لا ، يا سيدى لا بد أن أبقى كى أغلق الأبواب كما تعـــرف ، مثلما أفعل عندما يكون المهندس فى أجازة ، وسوف أغلق الشبابيك وماشابه ذلك .

الوالد : لن يغير هذا شيئاً .

إبراهيم : سوف أبقى كى أغلق الأبواب .

الوالد : حسن ، ولكن تذكر ما قلت . لا تبقَ طويلاً فأنا أشعر أنهم قد لا يتعاطفون جداً مع الناس الذين كانوا يعملون مع الإنجليز ، أتفهم ما أقول ؟

إبراهيم : نعم ، إنى أعرف هؤلاء الأولاد وما يمكن أن يفعلوه .

الوالد : لذا ، من الأفضل لك أن تأخذ أى شيء تريده من المنزل .

إبراهيم : لا ...

الوالد : اقصد ، أنك يمكنك إرجاع ماأخذت إذا تحسنت الأمور ، أليس كذلك؟

إبراهيم : على ماأعتقد .

الوالد : وكيف حال زوجاتك فى ظل هذه الضجة ؟

إبراهيم : أوه ، بالفعل كما تعرف الزوجة رقم واحد تعيسة جداً فهى تحب البريطانيين ، ولاتفهم لماذا صار السيد 'إيدن' أحمق ، والزوجة رقم اثنين دائما تقول : لقد قلت لك هذا ، حتى أقول لها اخرسى .

(يبتسم والد كريس . صمت)

الوالد : حسنٌ .

إبراهيم : نعم .

الوالد : أعتقد انه من الأفضل لى ...

إبراهيم : نعم .

الوالد : لا أستطيع الانتهاء من هذا .

(يعنى الويسكى)

إبراهيم : سوف أقوم بشربه يا سيدى .

الوالد : ليس لدى عنوانك .

إبراهيم : لا .

الوالد : أود أن ... أبقى على اتصال بك .

إبراهيم : أنا لا أقرأ اللغة الإنجليزية يا سيدى ، وكل الإنجليز مغادرون ، فمن سوف يقرأ لى ؟

الوالد : أعتقد أنك على حق .

إبراهيم : نعم .

(يخرج وراء والد كريس إلى الصالة)

الوالد : أوه ، لقد أخذت الحقيبة .

إبراهيم : إنها فى السيارة يا سيدى .

الوالد : حسن ...

(يصافح إبراهيم)

شكراً على كل شىء ، يا إبراهيم .

إبراهيم : أشكرك ياسيدى .

الوالد : إلى اللقاء .

إبراهيم : الله معك ياسيدى .

(يلتفت والد كريستوفر فجأة ، ويغادر . يراقبه إبراهيم حتى يختفى ، ويرفع يده ويلوح . يطلع الفجر ، ويقفل إبراهيم الباب الخارجى ، ويخرج مفتاحاً من جيب جلبابه ، ويغلقه به ، وبعد ذلك يغلقه بالمزلاج . ثم يعود إلى المطبخ ، ويحضر الويسكى ، ويأخذه إلى حجرة السفرة ، ويلتقط شريحة من لحم الخنزير المملح من الطبق ، ويقضمها برفق وهو يحتسى شرابه . يبدو هادئاً ، ولكن تنبعث منه تنهيده عميقة . يظهر كريستوفر بعيداً عن المنزل ، وهو يرفع نظارته على قصبة أنفه)

كريستوفر : وودع والدى الإسكندرية التى فقدها ، ورويداً تفرقت كل الجماعات الأجنبية ، وتغير منظر المدينة للأبد . وبالنسبة لإبراهيم لم أعرف قطّ ماذا حدث له ، ولكننى طيلة حياتى كنت ومازلت أسمع قلبه السقيم ، و هو يدق تحت ألواح خشب الأرضية .

(يبتعد. وينتهى إبراهيم من أكل شريحة لحم الخنزير ، و يأخذ جرعة من الويسكى ، و فجأة ينظر إلى أعلى . يسمع صوتا غريبا يشبه انبعاث صوت موسيقى رائعة تسافر عبر السماء . يبتسم إبراهيم ، وحينئذ يسمع صوت تكسيرالزجاج بالقرب من أحد شبابيك المنزل . يطرق شخص ماعلى الباب ، ويصيح بصوت أجش باللغة العربية . يضع إبراهيم كوبه ، ويخرج إلى الصالة ، فيسمع طرقا عنيفا على الباب . يعدل إبراهيم جلبابه ، ويسوى طربوشه . يسمع صوت تكسير مزيد من الزجاج ، وجَعْجَعَة مزعجة ، وطرقا مدويا كما لو كان ناتجاً عن أسلحة بدلا من قبضات يد . ينتظر إبراهيم ، وهو ساكن الحركة ، هادئ هدوءاً تاماً ، و يتجه نحو الباب ، بينما يتوارى الضوء)

الخـــــاتمـــــــــة

إن وضع مادة تتعلق تعلقاً مباشراً بالسيرة الذاتية فى وسط مسرحية هـو شىء لم أجربه من ذى قبل ، وفيما يلى وصف مختصر ومرتب للأنواع التى استخدمت فيها المادة . ولنبدأ بمثال واضح ، وهو أننى وأسرتى لم نصل إلى مصر قبل واقعة السبت الأسود ، ولكننا وصلنا إلى الإسكندرية فيما بعد فـى عام ألف وتسعمائة واثنين وخمسين ، بعد طرد الملك فاروق . ومن ناحيـة أخرى ، صادف أن يكون ذلك فى يوم عيد ميلادى ، وهذه الصُدفة ــ التـى تم إضافتها إلى الحقيقة القائلة بأن الحادثة فى الإسماعيلية يبدو أنها بدأت فى تحريك سلسلة من المواجهات وصلت ذروتها فى غزو السويس ــ بدت لـى أنها تبرر إستخدامى لها فى المسرحية . فكل مشهد تقريباً يحـاول التوفيـق بطريقة مشابهة بين الذاكرة وبين ماأعتبره الاستجابات المؤثرة دراميا لتلـك الذاكرة . وبنفس الطريقة ، وبالرغم من أننى حاولت أن أتـذكر ، وأصـور نفسى كطفل بدقة بقدر المستطاع ، فإن الشخصيات الأخرى فى المـسرحية أُجرى عليها تعديلات كان يتعذر تجنبها : وهذا هو السبب الذى مـن أجلـه سميت الوالدين فى المسرحية " والدة كريستوفر ووالد كريستوفر " بدلاً مـن تسميتهما باسميهما الحقيقيان .

وثَمّةَ مثال أخير : بينما تم مصادرة طربوشى ، وحذرت تحذيراً فى حينه بعدم الإدلاء بتصريحات غير وطنية من قِبل ناظر المدرسـة الإعداديـة ذى القلب الرحيم ، فإن هذه الواقعة تخص أخى 'بوب' ، الذى يكبرنـى بـسبع سنوات ، والذى أتى من انجلترا لقضاء أجازته معنا فى عام ألف وتـسعمائة وستة وخمسين ، والذى حُرق طربوشه فى مدرسته الإعدادية . وبالرغم من

هذا فإننى أخفى شخصية أخى ، و أتبنى الحادثة ، وهذه المسألة هى مسألة خيال كما هو متعارف عليه .

وباختصار كانت الحرباء موجودة هناك ، ولكننى أعتقد أن لونها كان يميل أكثر إلى اللون الأخضر منه إلى الأبيض .

كريستوفر هامبتون ، أكتوبر ١٩٩٠